

المشبهة وا لمجسمة

الشيخ عبد الرحمن خليفة

و يليه
شرح معنى الاستواء و المطابق للبلاغة و
التوحيد
بقلم
الاستاذ المهندس حامد عبد الرحمن

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى ليس كمثل
شئىء و هو السميع البصير ، و الصلاة و
السلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة
للعالمين ، و آله الطيبين الطاهرين ، ز
رضى الله عن صحابته ومن تبعهم بإحسان
الى يوم الدين .

و بعد : فهذه رسالة قيمة دبجتها يراع عالم
من كبار علماء الازهر الشريف ، فى الرد
على بعض المنتسبين الى السلف
بزعمهم ، و قد أثاروا فى بعض دواعيهم
بليلة فى اذهان العامة، و إدعوا أنهم
ينتسبون الى السلف و هم ابعد ما يكونون
عن هذه الدعوى فى منهجهم و علمهم و
سلوكهم .

وقد وقف علماء الازهر الشريف فى وجه
هذه الدعوات المشبهة و المشبوهة و
اصحابها ، و تصدوا لهم بالحجج و البراهين
و أبطلوا مزاعمهم و دحضوا شباهاتهم .
و هكذا كان الازهر - ولا يزال - رغم ما
إعتراه من ضعف فى الاونة الاخيرة - قلعة
من قلاع الاسلام تتهاوى على حصونها

شبهات الضالين ، و زيف المدعين ، و
تأويل الجاهلين .

و هذه الفئة - التى تتستر بالانتساب الى
السلف الصالح - لا تزال تثير بعض الشبه ،
و تعكر جو العلم ، و تحتكر الحق لنفسها ،
و تخالف ما اتفق عليه سلف الامة و خلفها
فى بعض مسائل العقيدة ، و من اهمها
مسألة صفات البارئ سبحانه و تعالى . وقد
اوغلت فى هذا الجانب حتى انزلت الى
مزلق خطيرة ، و مهاوى مردية .

و هذه الرسالة التى نقدمها اليوم فيها
كشف لحقيقة هذا الموضوع ، و تجلية له ،
و دفع للشبهات ، و إزالة للركام الهائل من
الكلام الذى يكثر فيه هؤلاء حتى كادوا ان
يقعوا فى أحوال التشبيه و يوقعوا غيرهم
فيه ، وهم لا يشعرون .

و الناظر اليوم على الساحة العلمية ، و ما
تموج فيه من تيارات مختلفة و اتجاهات
متباينة ، يحزنه هذا الواقع الذى آلت إليه
بعض المعاهد العلمية و الجامعات
الاسلامية حتى تجرأ الصغار على الكبار ،
فوجدنا من لا يستطيع ان يفهم كلام كبار
العلماء يجعل من نفسه حكماً عليهم ،

فيخرج هذا من اهل السنة و الجماعة ، و
يبدع الآخر ، و يجهل الثالث ... و كثرت
الكتب التى تتحدث عن عقائد العلماء مثل :
((عقيدة الإمام الخطابى)) ، و ((ابن عبد
البر)) و ((القاضى عياض)) ، و
((البيهقى)) ، و ((النووى)) ، و
((الحافظ ابن حجر)) و غيرهم من
اساطين العلم . و جعلوا من ابن تيمية
حكماً على العلماء السابقين و اللاحقين ، و
نسبوا له العصمة فى كل ما يقول ، وهذا
شطط فى الرأى ، و تطفيف فى المكيال .
و الاصل : ان نفهم عقيدتنا كما فهمها
سلفنا من هؤلاء لا ان يتدرب بعض الطلاب
سعيّاً للوصول الى وظيفه و شهرة على
تجريح هؤلاء العلماء و الوقوع فى عقائدهم
و الولوغ فى اعراضهم .
و قد ساعد هؤلاء من يقوم بطباعة كتبهم و
يروج لها ، فى الوقت الذى سكت فيه اهل
الحق .
و لاشك أن توارد السكوت عن امثال هؤلاء
، مع خلو الساحة لهم ، و توافر اسباب
نشر مذهبهم ، يؤدى الى تغيير وجه العلم و
الانحراف بمسار الامة عن منهجها ، نسأل
الله سبحانه ان ينفع بهذا الكتاب و امثاله

من الكتب التي عزمنا على نشرها ، و ان
يجمع كلمة المسلمين على الحق و
السداد ، و يؤلف بين قلوبهم على الهدى و
الرشاد ، و اله ولى التوفيق .
الناشر

ترجمة المؤلف
فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن خليفة
هو العلامة المفسر المحدث الفقيه
الجليل ، و الشاعر و الاديب الكبير الشيخ
عبد الرحمن خليفة بن الاستاذ الشيخ خليفة
بن فتح الباب بن على بن محمد الحناوى .

ووالدة خليفة من كبار علماء الازهر ، و قد
تلقى القراءات عن شيخة العلامة الكبير شيخ
القراء الاستاذ محمد المتولى ، تلقى عليه
القراءات العشر بعد ان جود عليه القرآن .
وقد نال العالمية من الازهر ، و تخرج عليه
كثير من كبار العلماء و خلف خمسة ابناء ،
اكبرهم العلامة الشيخ عبد الرحمن ، و
ممن اشتهر منهم بالعلم ايضاً : الشيخ عبد
الفتاح (1) ، و الشيخ محمود (2).

ولد الاستاذ الشيخ عبد الرحمن - رحمه
الله تعالى عليه - بالقاهرة سنة 1294 =
1877 ، وعنى به والده ، فحفظ القرآن
بالمدرسة الحسينية ، ثم جود على والدة ،
و انتسب الى الازهر ، و حضر كل كتبه ، و
كان من شيوخه : الاستاذ الشيخ على
البولاقى و الشيخ على الصالحى ، و الشيخ
سعيد الموجى ، و مفتى الديار محمد
عبدة ، و استاذ الادب الشيخ سيد على
المرصفى . و نال شهادة العالمية سنة
1907.

و تقدم لمسابقة التدريس بمدرسة عثمان
باشا ماهر اول افتتاحها ، فكان الاول فى
هذا الامتحان ، و عين مدرساً بها من سنة
1902 الى ان توفى سنة 1945 رحمه الله

تعالى .

و قد تخرج عليه كثير من علماء النهضة العلمية و الادبية و الثقافية ، وله شروح قيمة على امهات كتب الادب ، و له كتب متقنة فى المسائل الدينية العويصة ، و كان يقوم على تحرير مجلة الاسلام ، فيغير و يبدل فى المقالات التى ترسل للنشر حتى يصقلها و يجعلها مناسبة .

و كان يشغل كل وقته بالبحث و التنقيب و التحصيل و الكتابة و التحرير ، فكان يجلس عقب صلاة العشاء يبحث و يكتب حتى مطلع الفجر ، وهو ساهٍ عن نفسه فى كثير من الليالى .

(1) توفى العلامة الشيخ عبد الفتاح سنة 1365 الموافق سنة 1946 رحمة الله تعالى .

(2) توفى العلامة الشيخ محمود سنة 1377 الموافق سنة 1957 رحمة الله تعالى .

و كان على دين و صلاح و خلق عظيم ، فكان صبوراً شكوراً ، حليماً كريماً ، لا يشكو و يتحمل ما يلاقيه بصبر و ثبات ، و

ابتلى بالمرض يتركه ويعاوده ، وهو فى كل ذلك لاينى عن العمل و السعى و الجهاد . و كان سخياً كريماً ، يدة منطلقة بالبذل و العطاء و الانفاق ، حتى انه لم يخلف لإسرته شيئاً يذكر من حطام الدنيا .
توفى - رحمه الله تعالى - مساء الاثنين 6 ربيع الاول سنة 1364 الموافق 19 فبراير سنة 1945 عن نحو سبعين سنة ، و قد انهار بموته ركن قوى من اركان النهضة الاسلامية و الادبية فى العالم الاسلامى ، رحمه الله رحمه واسعة .

1 - المشبهة و المجسمة (1)

بعث الى صاحب العزة الاستاذ حامد بك عبد الرحمن الباشمهندس (2) بالرى سابقاً بمقال مطول يشكو فيه من ظهور مذهب التجسيم باسم العقيدة السلفية ، و يعجب من قام جماعة بمصر تنشر كتباً محشوة بمذاهب الحشوية و المجسمة المنافية لعقيدة التقديس ، و تنزيه ذات الله تعالى عن سمات الحوادث و صفات المخلوقين كاثباتهم استقرار الله تعالى بذاته على العرش ، و انه ينزل بذاته من العرش ، و يقعد الرسول معه الى جنبه ، و ان كلامه القائم بذاته صوت إلى غير ذلك ، حتى

سرت هذه العقيدة الى المدارس ، و لقنها
التلاميذ فى كتبهم ، فقد اطلت فى كتاب
المطالعة للسنة الثانية بالمدارس الثانوية
على عبارتين من هذا القبيل إحداهما ما
جاء فى صفحة 36 من كتاب المطالعة
المذكور و نصها : ((إذ ذاك تظهر جالسا
على عرش عظمتك)) .

(1) سنة (8) عدد (12) سنة 1358 =
1939 .

(2) ستأتى عدة مقالات للأستاذ حامد بك
عبد الرحمن رحمه الله تعالى ص 75 فما
بعدها .

و الثانية : فى الصفحة التى تليها و نصها :
((إذ ذاك يشرق جبينك النورانى فنراك
انت انت الله)) فهاتان عبارتان يفيد
ظاهريهما الجلوس و الاستقرار ، و أن الله
جيبنا نورانياً ، و كل هذا من صفات
الحوادث إلا إذا صرف المدرس عبارتتين
عن ظاهريهما ، و افهم تلامذة ما يفيد
تنزيهه سبحانه عن التحيز و الجسمية ، و ما
يدرينا لعل هناك أشياء من هذا القبيل
يروجها السلفيون الأثريون باسم حماية

السنة ، و العمل بظواهر النصوص ، و إن منع من الاخذ بظاهر النص مانع شرعى ، و هذا ما نشاهده فعلاً من دعاية واسعة للاخذ بمذهب الكرامية فى إثبات الجهة و التجسيم ، و الحركة و الذهاب و المجرى لذات الله تعالى ، و هذا كتاب ((العلو للعلی الغفار)) ، و ((كتاب السنة)) للحافظ ابی عبد الرحمن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ، و غیرهما من الكتب التى على هذا الطراز ، و التى تنشر على حساب الدعوة لمذهب خاص ، و نحن نرى نشاط هذه الحركة فى مصر ، و لا نرى ما يقابلها من جمهرة العلماء و قادة الفكر و بخاصة علماء الازهر ، فهل يترك الناس بإزاء هذه المشكلة التى تمس العقيدة فى صميمها بدون بيان حاسم !؟ و إلى متى السكوت ؟ إلخ ... بعث إلى الاستاذ حامد بك بهذا الخطاب أو بكلام هذا معناه ، و شفعه برد مطول (1) ، و لكنى رأيت أن أجيب على كلامه هذا بما لا يخرج عن معنى رده دون أن أجارى الخصوم فى مهايراتهم و التجائم على الطعن الشخصى ، بل أمضى فى الموضوع لا ألوى على شىء من هذه السفاسف .

(1) نشر هذا الرد الممتع المقنع فى
سلسلة الكتب والرسائل التى أصدرناها .

هذه المسائل التى يثيرها اليوم (جماعة
انصار السنة) اثرت قديما و فرغ العلماء
من الرد عليها ، و هم مقلدون فيها لابن
القيم و شيخه تولى الدين ابن تيمية و
طوائف من الحنابلة ، و العجب لهؤلاء
يقلدون نفراً من العلماء انفردوا بمقالات و
آراء وافقوا فيها الحشوية و الكرامية ، و
خالفوا فيها جميع المسلمين سلفاً و خلفاً ،
ثم يزعمون مع هذا انهم مجتهدون كلهم
ليس فى المتبوعين و الاتباع منهم قلد
واحد ، لا'ن التقليد فيما زعموا شرك سواء
أكان تقليداً فى فروع الاحكام ام فى أصول
العقائد .!

و البرهان المحسوس على هذا الزعم من
هذه الطائفة قول الاستاذ (أبى السمح)
فى (صحيفتهم) التى هى صحيفة
(الخاصة) (بالعدد 22 ص 23) (و هل
يعرف التلاميذ الصغار هذه المذاهب (1) ؟
إنهم يعلمونهم الضلال و التعصب ، و
يعلمونهم ما لم يؤمر بتعلمه و ليس بواجب

، ولا مندوب بتعليمه ، بل حرام تعليمه و تلقينه للناشيء . اقول : حرام ! و الدليل عليه قول الله تعالى : (و لا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم) (إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شىء) .

فانظر الى هذا المنطق السديد من حبرهم و كبيرهم (إمام الحرمين ، و عالم المشرقين) الا ترى انه سجل بهذا المنطق الغريب الشرك على المسلمين و أبناء المسلمين من عصر تدوين مذاهب الأئمة المتبوعين الى العصر الحاضر و ما بعده من العصور المقبلة الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

(1) يريد مذاهب الأئمة الأربعة .

يا سبحان الله ! أليس من الانصاف أن يسجل الاستاذ على نفسه و من يرى رأيه من شيعته ما سجله على غيره ، حيث كان متبعاً لمذهب خاص يخالف مذهب غيره ، و يفترق عنه فى تفريع الاحكام المأخوذة من الاصلين الكتاب و السنة ، و هل عنده من الشجاعة و الاستقلال فى الرأى ما يجعله

يدين فى المتشابهات بما يدين به عامة المسلمين من التفويض المطلق ، دون ان يفسر الاستواء بالجلوس و النزول بالحركة ، و الكلام بالصوت إلخ كما هوا مذهب السلف ، او يؤول النصوص بما يفيد التنزية و التقديس كما هو مذهب الخلف . إن كان عنده هذا القدر من الشجاعة و الاستقلال فى فقة الاحكام و فهمهما من الكتاب و السنة فيعلن لنا رأيه بصراحة هو او يقول بنحلته فى الامور الآتية :

جاء فى كتاب ((السنة)) للحافظ أبى عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل طبعه المطبعة السلفية بمكة (ص 5 ج 1) ما نصه : ((حدثنى أحمد بن سعيد ابو جعفر الدرامى ، سمعت أبى سمعت خارجة يقول : الجهمية كفار ، بلغوا نسائهم أنهم طوالق ، و أنهم لا يحللن لا زواجهن ، لا تعدوا مرضاهم ، و لا تشهدوا جنازتهم ثم تلا : (طه * ما انزلنا عليك القرآن لتشقى * ألا تذكرة لمن يخشى *) الى قوله :

(الرحمن على العرش استوى *) فهل يكون الاستواء إلا بجلوس!

و فيه (ص 56 ج 1) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم : ((اذا ضرب

احدكم فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم
على صورته ((اتفوض ام تفسر الوجه بما
يفهمه ظاهر اللفظ ، و هل ينفك بعد هذا
التفسير أن تقول : 'ن كيف مجهول ؟! .
و مثله فى (ص 142 ج 2) عن ابى
هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم :
((إذا ضرب احدكم فليتجنب الوجه ، ولا
يقول قبح الله وجهك ووجه من اشبه
وجهك)) .

و ما يقولون فيما جاء فيه (ص 68 ج 1)
حدثنى ابى ، حدثنا ابو المغيرة ، حدثنا
عبدة ، عنة أبيها خالد بن معدان قال :
(('ن الله لم يمس بيده إلا آدم خلقه
بيده ، و الجنة ، و التوراة كتبها بيده ، قال :
و دملج الله لأولوة بيده فغرس فيها قضيباً ،
فقال امتدى حتى ارضى ، و اخرجى ما
فيك بإذنى ، فأخرجت الانهار و الثمار)) .
و فى (ص 70 ج 1) حدثنا إسرائيل ، عن
ابى إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة قال :
((جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه و
سلم فقالت ادع الله ان يدخلنى الجنة ،
قال : فعظم الرب و قال : وسع كرسيه
السموات و الارض إنه ليقعد عليه فما

يفضل عليه فما يفضل منه ألا قيد أربع أصابع ، وإن له أطيط الرجل إذا ركب)) .
و فى (ص 142 ج 2) منه حدثنى أبى ،
حدثنا ابو المغيرة ، حدثنا عبدة بنت خالد بن معدان ، عن ابيها خالد بن معدان أنه كان يقول : ((إن الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون ، حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش)) .

و هذا قليل من كثير مما فى كتاب ((السنة)) رواية الحافظ أبى عبد الرحمن عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل و غير أبيه من الرواة و المحدثين .

و فى كتاب ((التوحيد)) لابن خزيمة (طبعة المطبعة المنيرة) كثير من أمثال هذه الاحاديث ، سنستعرض لطرف منها فى المقال التالى إن شاء الله و يمتاز كتاب (العلو للعلی الغفار) بأن الحافظ الذهبى بين ما فيه من صحيح الاخبار و سقيمها ، فمن ذلك (ص 120) حديث يروى عن سعيد الجريرى عن سيف السدوسى عن عبد الله بن سلام قال : ((إذا كان يوم القامة جىء بنبيكم صلى الله عليه و سلم فأقعد بين يدي الله على

كرسيه)) فقال للجريري : يا أبا مسعود إذا
كان على كرسيه أليس هو معه ؟ قال :
ويلكم هذا اقر حديث في الدنيا لعيني .

قال الحافظ الذهبي هذا موقوف و لا يثبت
إسناده و المتتبع الكتاب (العلو) للذهبي
يراه بناء على ذكر الآيات و الاحاديث و
الاخبار التي يثبت بها جهه العلو و الارتفاع و
الفوقيه لذات الله تعالى و الاستواء على
العرش مراداً منه ظاهره ، و هو الجلوس
الى غير ذلك مما اثبتته الحنابلة من الصفات
والافعال و الحركات أخذاً بما يفهم من
ظاهر اللفظ ، وما وقر في نفس العامي
عند سماعه من غير تشبيه ولا تكييف ولا
تحديد ، و يمنعون تأويل اللفظ و تفسيره
بما يصرفه عن ظاهرة و مدلوله الوضعي ،
و يقولون : إن هذا هو الموافق لمذهب
السلف ، و هم محجوجون من الجمهور بأن
مذهب السلف هو التفويض المطلق بدون
بحث في ظاهر ما تشابه منها و باطنه ولا
في حقيقته ولا مجازة ، بل طريقتهم في
ذلك مجرد التفويض و التسليم و الإيمان
بأنها من عند الله .

و الاشاعرة لا يوجبون تأويلها و صرفها عن
ظواهرها ، بل يجوزونه ولا يمنعون
التفويض بالمعنى الذى ذهب إليه السلف ،
ولكن يمنعونه بالمعنى الذى ذهب إليه
الحنابلة . ولذلك يقول الحافظ أبو الفرج
عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى فى كتابه
((دفع شبهه التشبيهية ، و الرد على
المجسمة ممن ينتحل مذهب الامام أحمد
بن حنبل رضى الله عنه ص 5 - 6)) .. (و
رأيت من أصحابنا من تكلم فى الاصول بما
لا يصلح ، و إنتدب للتصنيف ثلاثة ، ابو عبد
الله بن حامد ، و صاحبه القاضى ابو يعلى ،
وابن الزاغونى ، فصنفوا كتباً شأنوا بها
المذهب ، و رأيتهم قد نزلوا الى مرتبه
العوام فحملوا الصفات على مقتضى
الحس ، فسمعوا ان الله سبحانه و تعالى
خلق آدم عليه السلام على صورته ، فأثبتوا
له صورة ، و وجهاً زائداً على الذات ، و
عينيه و فماً و لهوات و أضراساً ، و أضواء
لجهه هى السحبات ، و يدين و أصابع ، و
كفاً و خنصراً و إبهاماً و صدراً و فخدأ و
ساقين و رجلين ، و قالوا : ما سمعنا بذكر
الرأس ، و قالوا : يجوز ان يمس و يمس ،
و يدنى العبد من ذاته ، و قال بعضهم : و

يتنفس ! ... ثم إنهم يرضون العوام بقولهم
لا كما يعقل ، و قد أخذوا بالظاهر فى
الاسماء و الصفات ، فسموها بالصفات
تسمية مبتدعة لا دليل لهم فى ذلك من
النقل ، و لا من العقل ، ولم يلتفتوا الى
النصوص الصارفة عن الظواهر إلى
المعانى الواجبة لله تعالى ، و لا إلى إلغاء
ما توجه الظواهر من سمات الحدوث ، و
لم يقنعوا ان يقولوا صفة فعل حتى قالوا
صفة ذات !... ثم اما اثبتوا أنها صفات قالوا
: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على
نعمة و قدرة ، و لا مجيء و إتيان على
معنى بر و لطف ، و لا ساق على شدة ، بل
قالوا بل نحملها على ظواهرها المتعارفة ،
و الظاهر هو المعروف من نعوت الآدميين ،
و الشئ إنما يحمل على حقيقة إذا
أمكن ، ف'ن' صرف صارف حمل على
المجاز ثم يتخرجون من التشبيه ، و يأنفون
من إضافته إليهم ، و يقولون

: نحن أهل السنة ، و كلامهم صريح فى
التشبيه ، و قد تبعهم خلق من العوام ، و
قد نصحت التابع و المتبوع فقالت لهم : يا
أصحابنا أنتم أصحاب نقل و اتباع ، و

إمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول و هو
تحت السيط : كيف أقول ما لم يقل ؟
فإياكم أن تبتدعوا فى مذهبه ما ليس منه ،
ثم قلتم الاحاديث تحمل على ظاهرها ،
فظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل فى
عيسى عليه الصلاة و السلام ((روح الله))
اعتقد النصارى لعنهم الله تعالى ان الله
تعالى صفة هى روح ولجت فى مريم
و من قال : استوى بذاته فقد أجراه
سبحانه و تعالى مجرى الحسيات ، و ينبغى
ألا يهمل ما يثبت به الاصل و هو العقل ،
فإننا به عرفنا الله تعالى و حكمنا له
بالقدم ، فلو أنكم قلتم نقرأ الاحاديث و
نسكت لما أنكر أحد عليكم ، إنما حملكم
إياها على الظاهر القبيح ، فلا تدخلوا فى
مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس
منه ، فلقد كسوتهم هذا المذهب شينا قبيحا
حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم إلخ

و قد كتب فضيلة الاستاذ محمد زاهد
الكوثرى و كيل مشيخة الاسلام بدار
الخلافة العثمانية سابقاً فى تعليقاته التى
بذيل هذا الكتاب على قول الإمام أحمد بن
حنبل : كيف أقول ما لم يقل ؟ و لما سئل

الإمام أحمد عن أحاديث النزول و الرؤية
ووضع القدم و نحوها قال : ((نؤمن و
نصدق بها ولا كيف ولا معنى)) .
و قال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء : :
((استوى على العرش كيف شاء و كما
شاء بلا حد و لا صفة يبلغها واصف)) على
ما ذكره الخلال فى ((السنة)) بسندة الى
حنبل عن عمه الإمام أحمد ، و هذا تفويض
و تنزيه كما هو مذهب السلف .
و ربما اول فى بعض المواضع كما حكى
حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول
: احتجوا على يوم المناظرة فقالوا : تجيء
يوم القيامة سورة البقرة ، و تجيء سورة
تبارك . قال فقلت لهم : إنما هو الثواب .
قال الله جل ذكره : (و جاء ربك و الملك
صفاً صفاً 22) و إنما تأتى قدرته .

و قال ابن حزم الظاهري فى فصله : و قد
روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال
: (و جاء ربك) إنما معناه : و جاء أمر ربك
اهـ .

و هذا تأويل و تنزيه كما هو مذهب الخلف ،
و أما ما ينقل عن الإمام مما يخلف ما تقدم
، فهو تخرص صديق جاهل ، و سوء فهم

لمذهب هذا الإمام ، انظر صفحة 7 من كتاب ((دفع شبهة المشبهة)) ((طبع مكتبة القدسي)) .

2- المشبهة و المجسمة

فى الفتوى الحموية الكبرى (ص 78) بقل شيخ اسلام تقى الدين ابن تيمية الحرانى الحنبلى فى ضمن ما نقله من نصوص أئمة العلماء الذين نقلوا مذهب السلف فى المتشابه هذه العبارة بنصها : و كذلك قال ابو المعالى الجوينى فى كتابه ((الرسالة النظامية)) .

((اختلف العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها ، و التزم ذلك فى أى الكتاب ، و ما يصح من السنن ، و ذهب أئمة السلف الى الانعكاف عن التأويل ، وإجراء الظواهر على مواردھا ، و تفيويض معانيھا الى الرب ، قال : و الذى نرتضيه رأياً ، و ندين الله به عقداً ، اتباع سلف الأمة و الدليل السمعى القاطع ، إلى أن قال : و قد درج صحب رسول الله صلى الله عليه و سلم على ترك التعرض لمعانيھا ، و درك ما فيها ، وهم صفوة الاسلام ، و المستقلون بأعباء الشريعة ، و كانوا لا

يألون جهداً فى ضبط قواعد الملة ، و
التواصى بحفظها ، و تعليم الناس ما
يحتاجون إليه منها ، فلو كان تأويل هذه
الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن
يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع
الشريعة ، و اذا انصرم عصرهم و عصر
التابعين عن الاضطراب عن التأويل كان
ذلك هو الوجه المتبع ، فحق على ذى الدين
أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين
، ولا يخوض فى تأويل المشكلات ، و يكل
معناها إلى الرب تعالى فليجر آية الاستواء
أو المجىء ، و قوله : (لما خلقت بيدى) .
(ويبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام 27)
و قوله : (تجرى بأعيننا) و مما صح من
أخبار الرسول كخبر النزول و غيره على ما
ذكرناه اهـ .

و قول إمام الحرمين : على ما ذكرناه اى
من أجراء ظواهر النصوص على ما ورد به
السمع ، و تفويض معانيها إلى الرب ، و
عدم التعرض لفهم ما تحتمله من المعانى
التي نكل علمها الى الله تعالى ، وهذا
يوافق فى الجملة ما قرره العلماء من أن
مذهب السلف إمرار المتشابهات على ما
جاءت به مع إعتقاد أن ظاهرها غير مراد

لما يترتب على إرادته من إثبات صفات
الحوادث لله تعالى ، وابن تيمية مع نقله
كثيراً مما يستأنس به لرأيه من كلام
المتكلمين و غيرهم يقول بجميع ما نقوله
فى هذا و غيره ، ولكن الحق يقبل من كل
من تكلم به .

و يقول أيضاً فى موضع آخر : و لكن كثير
من الناس قد صار متتبساً إلى بعض
طوائف المتكلمين (1) ، و محسناً للظن
بهم دون غيرهم ، و متوهماً أنهم حققوا فى
هذا الباب ما لم يحققه غيرهم ، فلو أتى
بكل آية ما تبعها ، حتى يؤتى بشيء من
كلامهم ، ثم مهم مع ذلك مخالفون
لأسلافهم غير متبعين لهم ، فلو أنهم أخذوا
بالهدى الذى يجدوبه فى كلام أسلافهم
لرجى لهم مع الصدق فى طلب الحق أن
يزدادوا هدى ، و من كان لا يقبل الحق إلا
من طائفة معينة ، ثم يتمسك بما جاءت به
من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال
الله فيهم : (و إذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل
الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون
بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل
فلما تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم

مؤمنين 91) إلخ .
يلقى ابن تيمية بكلامه هذا شبه اليهود
علبالاشاعرة خاصة و أهل التقديس عامة ،
لأنهم لم يجاروا الممثلة و المشبهة فى
آرائهم ، و ينسى نفسه ، و لا يحس أن بينه
و بين سلف الأمة أمدأبعيداً ، فهم يفوضون
و يكلون علم هذه الظواهر إلى الله تعالى
وهو يجرى المتشابه من الأسماء و الصفات
على ظاهرة مراداً منه حقيقة المعنى
المفهوم من اللفظ عند الإطلاق ، إذ يقول
فى الإستواء ، إنه الاستواء الحقيقى الذى
يعطيه ظاهر اللفظ و يفسره - كما وقع له
فى بعض كتبه - بالاستقرار و الجلوس ، و
يثبت أن الله فى السماء ، و فوق العرش و
أن له وجهاً و نفساً و صورة و عيناً و يدين
و أصابع و جنباً و ساقاً و قدماً ، و يجازف
فيريد الظرفية الحقيقية و الفوقية
الحسية ، و يريد من الوجة و أخواته
حقائقها لانه لا يريد من لفظ المتشابه إلا
ظاهر حقيقته التى تراد من اللفظ عند
الإطلاق .

(1) يريد الأشاعرة .

و اسمعه مثلاً يقول فى " الفتوي الحموية
:" و لا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك
يناقض بعضه بعضاً البتة ، مثل أن يقول
القائل : ما فى الكتاب و السنة من أن الله
فوق العرش يخالفة فى الظاهر قوله : (و
هو معكم أين ما كنتم) و قوله صلى الله
عليه و سلم : "إذا قام أحدكم الى الصلاة
فإن الله قبل (1) وجهه " و نحو ذلك ، فإن
هذا غلط ، وذلك أن الله معنا حقيقة ، و هو
فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما
فى قوله سبحانه و تعالى : (هو الذى خلق
السموات و الارض فى ستة أيام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج فى الارض و ما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم أينما كنتم و الله بما
تعملون بصير (4)) فأخبر أنه فوق العرش
وهو يعلم كل شىء و هو معنا أينما كنا ،
كما قال النبى صلى الله عليه و سلم فى
حديث الاوعال : " و الله فوق العرش وهو
يعلم ما أنتم عليه " وذلك أن كلمة (مع)
فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى
اللغة إلا المقارنة من غير وجوب مماسة أو
محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت
بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى

ذلك المعنى فإنه يقال : ما زلنا نسير و القمر معنا أو يقال : هذا المتاع معى لمجامعته لك و إن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة إلخ .
يقول هذا ابن تيمية مع أن المعية الحقيقية لا تكون إلا بالمقارنة الحسية وهى تقتضى التحيز .
و يقول فى هذا الموضع أيضاً : " و لما قال النبى صلى الله عليه و سلم لصاحبه فى الغار : (لا تحزن إن الله معنا) كان هذا أيضاً على ظاهره ، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع و النصر و التأيد .

(1) قبل (بكسر ففتح) أى قبالة وجهه .

و انظر إلى هذا التمويه و التناقض فهو يوهمك أن المعية المفهومة من قوله : (إن الله معنا) معية حقيقية يدل عليها اللفظ بظاهره ، و معلوم أن مدلول اللفظ الحقيقى أن الله معهما أى بذاته ، و لكن لما كان هذا المعنى غير مراد صرفه عن ظاهره فقال : معنى " إن الله معنا " أى علمه و اطلاعه و نصره و تأييده ، وهو لا

يقول بصرف اللفظ عن ظاهره ، و هذا الصنيع من ابن تيمية وما عمد إليه من الجدل و المحاولات الكثيرة لا يمكن أن يكون هو صنيع السلف بحال ، و لا تأتي أن يتمشى مع طريقتهم ، و هم لم يعينوا هذه المعانى كما عينها أهل الحديث و الأثر بل سكتوا عنها ، ولم يثبت عنهم أنهم بحثوا و فتشوها و تعبوا فيها كما تعب هؤلاء لأنهم مستغنون عن ذلك لسلامة فطرهم ، و صحة عقولهم ، و صفاء وجداناتهم ، و معرفتهم بجميع مناحى العرب ، و محال أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الشناعات و التشبيهات و المجازفات .

وهذا ابن خزيمة يقول فى باب ذكر الوجه و الصورة لله عز و جل من كتاب " التوحيد " له (ص 16 - 17) وقد ذكرنا من الكتاب و السنة ذكر وجه ربنا بما فيه الغنية و الكفاية ، و نزيده شرحاً فأسمعوا الآن أيها العقلاء ، ما يذكر من جنس اللغة السائرة بين العرب هل يطلقون اسم المشبهة على أهل الآثار و متبعى السنن نحن نقول و علماؤنا جميعاً فى الاقطار ، أن لمعبودنا عز و جل وجهاً كما أعلمنا الله فى محكم تنزيله فذواه بالجلال و الاكرام ، و حكم له

بالبقاء ، و نفى عنه الهلاك و نقول: أن
لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء
والبهاء ما لو كشف لأحرقت سبحات وجهه
كل شئ أدركه بصره ، محجوب عن أبصار
أهل الدنيا ، لا يراه بشر ما دام فى الدنيا
الفانية ، ونقول : غن وجه ربنا القديم لم
يزل بالباقي الذى لا يزال فنفى عنه الهلاك
والفناء .

ونقول : " إن لبني آدم وجوهاً كتب الله
عليها الهلاك ونفى عنها الجلال والإكرام
غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التى
وصف الله بها وجهه يدرك وجوه بني آدم
أبصار أهل الدنيا لا تحرق لأحد شعرة فما
فوقها لنفى السبحات عنها التى بينها نبينا
المصطفى صلى الله عليه وسلم لوجه
خالقنا.

3 - المجسمة و المشبهة
عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول
الله قال : " ينزل ربنا تبارك و تعالى كل
ليلة ألى السماء الدنيا حين يبقى الثلث
الليل الآخر . يقول : من يدعونى فأستجب
له ؟ " رواه البخارى .
الشرح و البيان

هذا الحديث رواه أصحاب السنن ، و رواه البخارى فى باب الدعاء و الصلاة من آخر الليل من كتاب الصلاة ، و رواه فى باب الدعاء نصف الليل من كتاب الدعوات ، و فى كتاب التوحيد أيضاً ، ولكونه من الاحاديث التى يتعلق بها الغلاة من مثبتى الصفات ، وفيهم مشبهة و مجسمة أحببت أن يكون موضوع حديثى .

يقول صاحب (الفتح) تعليقا على قوله عليه الصلاة و السلام : " ينزل ربنا الى السماء الدنيا " : استدل به من أثبت الجهة ، و قال : هي جهة العلو و أنكر ذلك الجمهور ، لأن القول بذلك يفضى الى التحيز تعالى الله عن ذلك .

وقد اختلف فى معنى النزول على أقوال : فمنهم من حمله على ظاهره و حقيقة و هم المشبهة تعالى الله عن أقوالهم . و منهم من أنكر صحة الاحاديث الواردة فى ذلك جملة و هم الخوارج و المعتزلة ، و هو مكابرة ، و العجب أنهم أولوا ما فى القرآن الكريم من نحو ذلك ، و أنكروا ما فى الحديث إما جهلاً و إما عناداً .

و منهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الاجمال منزهاً الله تعالى عن

الكيفية و التشبية ، وهم جمهور السلف ، و نقله البيهقى و غيره من الائمة الاربعة و السفينين و الحمادين و الاوزاعى و الليث و غيرهم .
و منهم من أوله على وجه يليق ، مستعمل فى كلام العرب .
و منهم من أفرط فى التأويل حتى كاد أن يخرج الى نوع من التحريف .

و منهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً فى كلام العرب ، و بين ما يكون بعيداً مهجوراً ، تأؤل فى بعض ، و فوض فى بعض ، و هو منقول عن مالك ، و جزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد .
قال البيهقى : و أسلمها الايمان بلا كيف ، و السكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه ، و من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم .
و قال فى أوائل كتاب التوحيد بعد أن نقل كثيراً من أقوال العلماء ومذاهبهم سلفاً و خلفاً بإزاء هذه الظواهر : و قسم بعضهم أقوال العرب فى هذا الباب الى ستة أقوال : قولان لمن يجريهما على ظاهرهما .

(أحدهما) من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين ، و هم المشبهة ، و يتفرع من قولهم عدة آراء .

(و الثانى) من ينفى عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات ، فصفاة لا تشبه الصفات ، فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته ، و تلائم حقيقتة . و قولان لمن يثبت كونها صفة ، و لكن لا يجريها على ظاهرها .

(أحدهما) يقول : لا نؤول شيئاً منها بل نقول : الله أعلم بمراده .

(و الآخر) يؤول فيقول : معنى الاستواء : الاستيلاء ، و اليد : القدرة و نحو ذلك . و قولان لمن لا يجزم بأنها صفة

(أحدهما) يقول : يجوز أن تكون صفة و ظاهرها غير مراد ، و يجوز ألا تكون صفة .

(و الآخر) يقول : لا يخاض في شيء من هذا ، بل يجب الايمان به لأنه من المتشابه الذى لا يدرك معناه .

و قد وضع الإمام فخر الدين الرازى كتابه " تأسيس التقديس " فى الرد على طوائف المشبهة و المجسمة ، و يمكننى أن أثبت جملاً منه على سبيل المثال ، فمن أمثله

ذلك أنه يقول : فعمدة مذهب الحنابلة أنهم متى تمسكوا بآيه أو بخبر يوهم ظاهره شيئاً من الاعضاء و الجوارح صرحوا بأننا نبت هذا المعنى لله تعالى على خلاف ما هو ثابت للخلق ، فأثبتوا لله تعالى وجهاً بخلاف وجوه الخلق و يداً بخلاف أيدي الخلق إلخ و يقول : و ذكر أبو معشر المجمل أن سبب إقدام الناس على إتخاذ عبادة الاوثان ديناً لأنفسهم هو أن القوم فى الدهر الأقدم كانوا على مذهب المشبهة، وكانو يعدقدون أن إله العلم نور عظيم ، فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا وثناً هو أكبر الاوثان على صورة الإله ، و أوثاناً اخرى أصغر من ذلك على صورة الملائكة ، و اشتغلوا بعبادة هذه الاوثان على اعتقاد انهم يعبدون الأله والملائكة، فثبت أن الدين عبادة الأصنام كالفرع عن مذهب المشبهة. ويقول فى تقرير الدلائل السمعية على أنه تعالى منزّه عن الجسمية والحيز والجهه :
الجهه الأولى قوله تعالى : «قل هو الله أحد(1) الله الصمد(2) لم يلد ولم يولد(3) ولم يكن له كفوا أحد(4)».
وأعلم أنه قد أشتهر فى التفسير أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ماهية ربه،

وعن نعته وصفته فانتظر الجواب من الله ،
فأنزل الله تعالى هذه السورة ، إذا عرفت
ذلك فنقول : هذه السورة يجب أن تكون
من المحكمات لا من المتشابهات ، لانه
تعالى جعلها جواباً عن سؤال متشابه ، بل
وأنزلها عند الحاجة ، وذلك يقتضى كونها من
المحكمات لا من المتشابهات ، وإذا ثبت
هذا وجب الجزم بأن كل مذهب يخالف
هذه السورة يكون باطلاً ، فنقول أن قوله
تعالى (أحد) يدل على نفى الجسمية ،
ونفى الحيز و الجهة ، اما دلالة على أنه
تعالى ليس بجسم ، فذلك لأن الجسم أقله
أن يكون من جوهرين ، و ذلك ينافى
الوحدة .

ويقول : و اعلم أنه تعالى كما نص على أنه
تعالى أحد فقد نص على البرهان الذى
لأجابه يجب الحكم بأنه أحد ، وذلك أنه قال
: (هو الله أحد) و كونه إلهاً يقتضى كونه
غنيماً عما سواه ، و كل مركب ، فإنه
مفتقر إلى كل واحد من أجزائه ، و كل
واحد من أجزاء غيره ، فكل مركب هو
مفتقر إلى غيره ، و ذلك يوجب القطع
بكونه أحداً ، و كونه أحد يوجب القطع بأنه

ليس بجسم و لا جوهر و لا فى حيز وجهة ،
فثبت أن قوله تعالى : (هو الله أحد)
برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب . و
أما قوله : (الله الصمد) فالصمد هو
السيد المصمود إليه فى الحوائج ، و ذلك
يدل على أنه ليس بجسم على أنه غير
مختص بالحيز و الجهة إلخ يقول : لو كان
تعالى مستقراً على العرش لكان الابتداء
بتخليق العرش أولى من الابتداء بتخليق
السموات ، لأن تقدير القول بأنه مستقر
على العرش يكون العرش مكاناً له ، و
السموات مكان عبده ، و الاقرب إلى
العقول أن يكون تهيئة مكان نفسه
مقدماً على تهيئة مكان العبد إلخ .
و يقول : الحجة الرابعة عشر : قوله تعالى
: (كل شيء هالك إلا وجهه) ظاهر الآية
يقتضى فناء العرش و فناء جميع الاحياز و
الجهات ، وحينئذ يبقى الحق سبحانه و
تعالى منزهاً عن الحيز و الجهة ، و إذا ثبت
ذاك امتنع أن يكون الان فى جهة ، و إلا
لزم وقوع التعبير فى الذات إلخ .
و يقول : أن القائلين بكونه جسماً مؤلفاً من
الاجزاء و الابعاض لا يمنعون من جواز
الحركة عليه ، فإنهم يصفونه بالذهاب و

المجيب ، فتارة يقولون : إنه جالس على العرش و قدماه على الكرسي ، وهذا هو السكون ، وتارة يقولون : إنه ينزل إلى سماء الدنيا و هذا هو الحركة .

ويقول : لو كان البارئ تعالى مختصاً بالحيز و الجهة لكان الحيز و الجهة موجوداً في الأزل فيلزم إثبات قديم غير الله تعالى ، ويقول بعد إثبات أن الارض كرة ، و إنما قلنا : أن الارض لو كانت كرة امتنع قول الخالق في شيء من الاحياز ، لأن الارض لو كانت كرة ، فالجهة التهي فوق بالنسبة إلى بعض السكان هي تحت بالنسبة إلى البعض الآخر ، فلو اختص البارئ تعالى بشيء من الجهات لكان تعالى في جهة تحت بالنسبة إلى بعض السكان ، وذلك باطل باتفاق بيننا و بين الخصم ، فثبت أنه يمتنع كونه تعالى مختصاً بالجهة .

و يقول : جميع فرق الاسلام مقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن و الاخبار ، أما في القرآن فبيانه من وجوه : (الأول) : هو أنه ورد في القرآن ذكر الوجه و ذكر العين ، و ذكر الجنب الواحد ، و ذكر الايدي ، و ذكر الساق الواحدة ، فلو

أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد ، و على ذلك الوجه أعين كثيرة ، و له جنب واحد و ايد كثيرة ، و له ساق واحد ، وذكر مما لا بد فيه من التأويل حديث : " الحجر الاسود يمين الله فى الارض " ، و حديث : " إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة من النار " ، و حديث " قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن "

قال : وهذا لا بد فيه من التأويل لأننا نعلم بالضرورة أنه ليس فى صدورنا اصبعان بينهما قلوبنا .

و حديث آيه الكرسي و قوله عليه السلام : " إن لها لساناً يقدر الله تعالى عند العرش " و لا بد فيه من التأويل . قال : فثبت بكل ما ذكرنا أن المصير إلى التأويل أمر لا بد منه لكل عاقل ، و عند هذا قال المتكلمون لما ثبت بالدليل أنه سبحانه و تعالى منزّه عن الجهة و الجسمية وجب علينا أن نضع لهذه الالفاظ الواردة فى القرآن و الاخبار محملاً صحيحاً لئلا يصير ذلك سبباً للطعن فيها .هـ .

ثم لاختفاء أن في مذاهب العرب و مناحى
كلامها سعة ، يقولون : أمر بين كالشمس ،
و جواد كالريح ، وحق كالنهار الواضح ، ولا
يريدون من ذلك سوى إثبات المعنى و
تصويرة في الخيال و تقريبه من الالذهان، و
العرب تشبه الصورة بالشمس و القمر ، و
اللفظ بالسحر ، و المواعيد الكاذبة
بالرياح ، ولا تعد شيئاً من ذلك كذباً ، ولا
توجب حقيقته بل تريد من اللفظ معناه
المجازى .

و علي هذا فالنزول في الحديث ليس
راجعاً إلى ذاته تعالى ، بل هو عبارة عن
نزول الملك الذي ينزل بأمره و نهيه .
قال البيضاوى : و لما ثبت أنه سبحانه و
تعالى منزّه عن الجسمية و التحيز امتنع
عليه النزول على المعنى الانتقال من
موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد
نزول رحمته ، أى ينتقل من مقتضى صفة
الجلال التى تقتضى الغضب و الانتقام إلى
مقتضى صفة الاكرام التى تقتضى الرأفة و
الرحمة و الإنعام اهـ .

و قوله تعالى (فأستجيب) أى فأجيب
دعائه ، وهو منصوب بإضمار أن لوقوعه
جواب الإستفهام ، و مثله " فأعطيه "

ومثله " فأغفر له " و يجوز الرفع على الاستئناف .

ثم فى الحديث من الفوائد : تفضيل الصلاة آخر الليل على الصلاة أوله ، و تفضيل تأخير الوتر كذلك لكن ذلك فى حق من يغلب على ظنه الانتباه و يطمع فيه .
و فيه أن آخر الليل أفضل للدعاء ، و أقرب للإجابة ، و أن الاستغفار كذلك لقوله تعالى : (و المستغفرين بالأسحار) ، و لا يتعرض بتخلف الإجابة فى ذلك الوقت عن بعض الداعيين ، فإن ذلك يكون فى الغالب للإخلال بشرط من شروط استجابة الدعاء و الله أعلم .

مجسمة العصر
و بعد أن كتبت ما كتبه أخيراً تحت عنوان (المجسمة و المشبهة) ظهر العدد الصادر فى جمادى الأولى سنة 1358 من تلك المجلة التى يسميها صاحبها (الهدى النبوى) و فيه مقلان أحدهما بعنوان : (إلى كتاب مجلة الاسلام) و الآخر بعنوان : (الوثنية المصرية) .

و قد تناول صاحب المقال الاول أشخاص كتاب المجلة ، و تناول نعيم الاستاذ

الكوثرى ، و تناول زميله فى هذه الحملة
على كتاب المجلة فضيلة الاستاذ الدجوى ،
و أفرغا ما فى جعبتهما من سباب و شتائم
و تجهيل و تكفير ، مع أن هؤلاء جميعاً لا
دخل لهم فى موضوع الرد ، و الرد موجه
إلى أنا خاصة ، فما الذى أقحم الباقين ؟
و الجواب على هذه الظاهره العجيبة : أن
أصحاب مذهب التجسيم ، و دعاة الوهابية
المتطرفة فى مصر ، بعد أن خفت صوت
هذه الجعاية فى نجد و الحجاز على يد
الملك عبد العزيز آل سعود ، و قمعه لغلاة
المتطرفين من دعائهم ، بدأت تظهر
حركتها هنا ، و أخذت أصداؤها تتجاوب فى
أفق مصر بإسم السنية و السلفية !
و لما كان النافخون فى أبواق هذه الدعاية
يعز عليهم أن يكشف الناس ما يخفون فى
أطوائها من عقيدة شركية ، و كانوا يبالغون
فى التمويه على الناس و تضليل الازهان ،
حتى لا يفطن أحد إلى ما ينطوون عليه من
زيغ و ضلال ، فقد رأوا أن يرموا الناس
بدائهم ، و يظهروا بمظهر الحافظين لتراث
النبوة ، العاملين على إحياء مذهب السلف
تغريراً و خداعاً و تلبيساً على العامة ، و
قالوا فى الأمة المصرية : إنها أمه شركية

عكف أفرادها على أوثان و ظواغيت داخل
القبور عبدوها من دون الله فصلوا إليها و
لها ، و دعوا أصحابها و دعوا بها و قدموا
القرايين ، و نذروا لها النذور .
و هكذا و قفوا أقلامهم ، و صرفوا كل
جهودهم إلى هذه الناحية من الطعن فى
المسلمين ، ليخفوا بذلك داءهم ، و يستروا
عن أعين الناس اتجاههم .
و لما كانت مصر بحمد الله من أعرق
الاسلام إسلامية ، و اقواها إيماناً بالله و
بالقرآن و بما جاء به الرسول صلوات الله
و سلامه عليه ، لم تكن لتغير هذه
الصيحات الصاخبة أذاناً صاغية ، ولم تكن
لتلتفت إلى ما ينظم هؤلاء من حملات
إجرامية .

و أخرى لسانية يؤجرون لها من ينبح
العلماء ، و يقع فى اعراضهم ، و يتهم
اعتقادهم ، و ينكر عليهم ما عمرت
القلوبهم من إيمان صادق ، و يقين ثابت ،
و ما تلبس به جوارحهم من الاعمال التى
تعبدهم الله بها ، و كلفهم بأدائها .
و يوضح لك لون اتجاههم هذا ما كتبه
صاحب مقال (الوثنية فى مصر) بالعدد

نفسه ، فهو يقول : " لقد استفاضت الوثنية
فى بلادنا حتى دخلت كل بيت ، و شملت
كل نفس ، فأينما وليت وجهك ألفيت صنماً
قائماً يهرع إليه من يزعمون أنهم مسلمون
فى حاجاتهم متوجهين فى دعواتهم تلقاءه
"

فهذا رجل مصرى منصورى (1) و هو أدرى
ببلده و أعرف بها من غيره من أهل
الاقطار الاسلامية الاخرى ، قد سجل
بلسان هذه الدعاية الخرقاء المجرمة على
مصر أن الوثنية فيها منتشرة فى كل بيت ،
قائمة بكل نفس ، و أنك اينما وجهت ألفيت
صنماً قائماً يهرعون إليه يستمطرونه
حاجاتهم ، و يشركونه مع الله فى
عباداته ، و يخصونه بقرابينهم و قراباتهم !

فأين هذه الامة المصرية الوثنية ؟ أهى فى
مخيلة هذا الداعية الجديد ، أم هى مما
أوحى به داعيتهم الاكبر ، ذلك السلفى
الظريف ، ذو العقل الحصيف ، و الرأس
الخفيف ، الذى يشبه فى حجمه رأس حية
رقطاء ، ركب فيها عقل امرأه خرقاء ، و
خلع عليها زهو حرباء ، فهى تتلو و تتلون ،
و تتكسر و تتغضن ، . يا عجباً ! ما الذى

حدا بكبيرهم هذه و رئيس تحريرهم أن
يتترس بالقصيمي و المنصوري و فلان و
فلان ! و يرسل على الناس أفاعيه و
ضواريه بين مستخف و سارب ، و شاتم و
ثالب ، و ناهش و ناهس ، و مقطب و
عابس ، و بين عواء و زئير ، و نباح ، و
هرير ، و مواء ، و صفير ، ما هذه الضجة و
الجلبة ؟

(1) هو محمود أبو رية المعروف بعداونه
على السنة النبوية ، وهكذا يكون أدعياء
السلفية في كل عصر ومصر ، ولله في
خلقه شؤون !!؟

و ما الذي حدث أيها القوم ؟ هذا صاحبكم
الشيخ أبو رية قد اعتزم أن (يشلح)
الاستاذ الكبير الشيخ الدجوي ، مستعدياً
عليه الشيخ الاكبر طلباً إليه أن يطرده من
الازهر ، و هذا بالطبع حسن و جميل ، في
عين كبيركم هذا الجالس على عرشه ،
عرش روما لا عرش بلقيس ، ولا عرش
إلهه المستقر على ظهر بعوضة ، يوزع
على الناس حظوظهم ، من الإيمان أو
الكفر ، فهذا مؤمن و هذا كافر ، وهذا

صاحب سنن ، و هذا عابد وثن .
و اسمع الشيخ المنصوري يقول : " و بينما
أهل الحق يصدعون بهذه الدعوة ، إذا بهم
يجدون من يصد عن هذه السبيل ، و لا من
الجاهلين فحسب ، و لكن - واحسرتاه -
من بين من يسمون أنفسهم كبار العلماء "

و يقول : " لقد أصبحنا و الله أضحوكة بين
الامم بهذه الخرافات التى يدعو إليها ذلك
الذى ينتسب إلى كبار علماء الازهر " .
و يقول فى الحديث الذى دار بينه و بين
أخيه البروتستانتى : " هل هذا الشيخ الذى
أفتى بوجوب (كذا) التوسل يعمل فى
الأزهر الآن أم هو خارج عنه ؟ فقلت له :
إنه لا يزال يعمل فى الازهر ، فأجابنى أن
هذا تناقض ، و ما دام يفتي فى أمور
تصادم أصول الدين مخالفاً فى ذلك ما
يقوله إمام الازهر . و بخاصة فى مسألة
عظيمة كهذه تتصل بأصل العقيدة فإنه
يجب اخراجه من الأزهر ، و عندنا إذا خرج
الاسيس تعاليم تخالف تعاليم الكنيسة فإنه
يشلح و يطرد " .
يا سبحان الله ، هل مثل هذا الكلام ينشر
فى مجله إسلامية تعبر عن رأى جماعة

يرون أنه لا يصح أن ينتسب إلى الاسلام
غيرهم !؟ و ما بال هذا الداعية الاخرق يريد
ان يفرض على مولانا الأستاذ الاكبر أن
يأخذ بالتعاليم الكنسية فى الازهر
(فيشلح) و يطرد من شاء من اخوانه كبار
العلماء إذا خالفوا أصلاً من أصول هذه
الطائفة الغريبة من الازهر ، وعن سائر
البيئات المصرية .

ثم اسمعه يقول مخاطباً أخاه البروتستانتى
صاحب الحديث المزعوم : " و ها أنت ترى
أهل الحجاز جميعاً قد أظهروا دين الله على
حقيقته ، و اقتلعوا جذور الشرك من
أصولها ، فهدموا القباب و سوا القبور
المشرفة " .

و نقول : أنه إن فرض تحقيق غرض
هؤلاء ، و تمت هذه الامنية التى تجيش فى
بصدورهم ، و سمحت الحكومات الاسلامية
- و هذا ما لا يجوز فى نظر العقلاء ، و إن
أساغته عقول المجانين - نقول " لو أن
الحكومات الاسلامية فى مصر و غيرها
قامت بهدم القباب ، و يتبع ذلك بالطبع
هدم ما فى المساجد الاثرية و غيرها من
مأذن و محاريب ، و تم لهم ما يريدون أيضاً

من هدم قبة المصطفى صلى الله عليه و سلم (1) حتى يعبد الله فى الارض وحده دون هذه القباب ، فسوف لا تتعلق نفوسنا بأحجارها ، و سوف لا يجدون من قلب مسلم واحد حنيناً إليها من ناحيو أنها أحجار تعبد ، و أصنام يصمد إليها فى الحاجات وتقصد ، و لامن حيث أن هذه القباب تحتوى معبودات للمصريين و غير المصريين ، بل من حيث إنها تراث أثرى فنى خالد استنفد من العصور السابقة الفن و الجهد و المال ، أجل ليس بمعقول أن يحن المصريون الى هذه الاحجار من حيث انها معبودات تقصد ، و ألا لأقتنى كل منهم حجراً كما كان يفعل مشركوا العرب ، يأخذ أحدهم الحجر من أحجار الحرم يستصعبه فى أسفاره ، ليطوف به متى شاء .

(1) وهذا ما يدعو إليه المدعو مقبل الوادعى أحد الغلاة المتطرفين ، وقد كتب قلا ذلك رسالة التخرج من الجامعة الإسلامية بإشراف حماد الأنصارى ، والأدهى من ذلك ما كتبه شمس الأفغانى المتوفى (سنة 1418) فى رسالته : " جهود الحنفية فى مقاومة البدع القبورية "

وهى رسالة دكتوراة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة أيضاً ، تكشف عما يحمله
هؤلاء من حقد دفين ، وغل كمين ، وسوء
ظن بالمسلمين ، وقد تبرأت الجامعة من
الرسالة وصاحبها (إذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا) .

إن المسلمين فى جميع أقطار الارض ، و
بخاصة العلماء و المثقفون منهم ليست
قلوبهم فارغة من حب النبى صلى الله
عليه و سلم و لا من حب إخوانه من الأنبياء
و المرسلين ، و لا من حب اولياء الله و
عبادة الصالحين ، و هو حب قدرة و
اعتبار ، ، و تقدير ما أجرى الله على أيديهم
من خير لإنسانية ، و هداية للبشر ، و سبب
هذا الحب و الباعث عليه إنما هو حب الله
لهم ، و إصطفاءؤه إياهم ، أتزعمون أن حبنا
له حب تأليه و عبادة ؟ .

يعلم الله انكم كاذبون مفترون ، ثم من
منكم رأى عالماً أو متعلماً يطوف بالقبور ،
أو يتمسح بالمقاصير ، أو يذبح بإسم الأولياء
الذبائح و القرابين ، أو ينذر لهم النذور ،
دلونى على عالم واحد أو مسلم مصرى
متعلم يجهل آداب الزيارة - .

إن حاجة من يزور الاضرحة اليوم -و قليل
ما هم - لا تعدوا أن يؤنس الداخل إليها
روح صاحب القبر بما يبدوه به من السلام ،
و يقرؤه من آيات ، و يرتله من أدعية
يستمطر بها من الله الرحمات و يستنزل
البركات ، و أى مسلم يقرأ القرآن ، و يعبد
غير الرحمن ؟ ! .

على رسلكم أيها القوم ، و ثوبوا إلى
رشدكم و توبوا إلى بارئكم ، و اعلّموا أنكم
فى بلد يصرف على تثقيف أبنائه و تعليمهم
ما يكفى أن يقوم بنفقات مملكة عظيمة ،
واسعة الاكفاف ، مترامية الاطراف ، و
ميزانية الازهر وحدها أضخم ميزانية عرفها
العالم لعهد إسلامى واحد ، و ليس فى
الازهر اليوم قديم و حديث ، و الازهر أزهر
واحد ، كما أن دين الله دين واحد ، و
الازهر هو الحافظ لدين الله فى مصر كنانة
الله فى أرضه قديماً وحديثاً إلى أن يرث
الله الارض و من عليها ، و الشيخ الدجوى
عالم من الطراز الاول ، و سيرته و جهاده
و بلاؤه الحسن فى الذب عن حوزة الدين
أصدق شاخـد على ما نقول ، تشهد بذلك
مصر خاصة ، و العالم الاسلامي عامة ، و

هو بعد ذلك عضو كبار العلماء فى الازهر ،
و فخر مصر و عالمها غير مدافع ، يعرف
هذا الدانى و القاصى ، و إذا أراد مرتزقتكم
أن يرتزقوا على حساب الطعن فى مصر و
أزهرها و علمائه ، فليعلموا أنهم فى هذه
المحاولة و غيرها فاشلون ، و سيعلم الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون .

و سادع من الآن الشيخ القصيمى بين
براثن الاستاذ الكوثرى ليحرب حظه منه ،
لكن هذا لا يمنع من أن أناقشه الحساب
فى بعض هناته الهيئات ، فهذا القصيمى
ينبز الكوثرى بأنه تركى غير عربى . و أنه
لذلك يكره العرب (1) إلخ .

و الحقيقة التى لا يجهلها هو ، و التى يعلمها
جميع الناس أن الكوثرى أعرب منه فى
عربيته ، و ألحن منه بحجته ، بل أن أعرابية
القصيمى دون عربية الكوثرى بمراحل ،
فهو عربى السليقة و إن كان تركى
المتحد ، و ذاك أعجمى الهجئة ، و إن كان
أعربى المنشأ و المولد ، و (الاعراب أشد
كفراً و نفاقاً و أجدر ألا يعلموا حدود ما
أنزل الله على رسوله) و من حدود ما
أنزل الله على رسوله طرح العصبية ، و
نبذ الجنسيات و القوميات .

(1) وهو ما يردد صده أيضاً المدعو بكر أبو زيد القضاعي .

و الكوثرى يعرف العربية ، معرفته بلغته الأصلية ، وهو يجيد العربية نطقاً و كتابة و تأليف ، و يضيف إلى إجادته و تبريزه فى كلتا اللغتين العربية و التركية ، إجادته التامة للغة الفارسية ، فهو عربى تكى فارسى ، ثم هو فوق ذلك لا يرى غير الاسلام وطناً ، بدليل أنه هاجر من وطنه التركى ، إلى وطنه الاسلامى ، فراراً بدينه ، و احتفاظاً بعقيدته و إسلاميته ، و لو أنه ممن يحترفون الدعاية ، و يتجرون بالعقيدة لكان فى دولة الغازى مصطفى كمال باشا عاهل الاتراك ، و دكتاتورها الاعظم ما يضمن له رغد العيش ، و يضمن له بلهنية الحياة بين أهله و عشيرته و وطنه .

و الكوثرى عالم عالمى معروف تعرفه الاقطار كلها ، و يرجع إليه الكثير منها فى شؤنه العلمية ، كما هو مشاهد ، وقد رحل كثيراً و طاف بمكتبات العالم الاسلامى ، ووقف على الكثير جداً من المؤلفات

النادرة فى هذه اللغات الثلاث فى كل فن ،
وقوف دراسة و بحث و استقصاء .
و يقول القصيمى فى مهاتراته : (أما
الشيخ عبد الرحمن خليفة فقد ألفناه أبداً
بتطابير مع رياح الاهواء المضلة ، و ألفناه
أبداً نصير البدعة و المبتدعين) (و الشيخ
عبد الرحمن خليفة الذى يحفل بهذا
الكوثرى و يبجله و يطريه . و يفاخر و يكثر
بعلمه ، و بما كتبه من الهذيان ، يتحامل
على شيخ الاسلام ابن تيمية و يطنب فى
هجائه و ذمه . بل و يطرب عند سماع ذلك
: و رجل يبلغ به الضعف العلمى أن يذم
أمثال ابن تيمية و يمتدح الكوثرى خليق
بإشفاق و الرثاء و العلاج) .

و أقول أن حبى و هواى و ميولى - بحمد
الله و توفيقه - متجهة كلها نحو محاب الله
و مراضيه . و رأيت الكوثرى يناضل و
يكافح و ينفى عن الله صفات الحوادث
التي يثبتها ابن تيمية بصريح عباراته ، و
عبارات من ينقل عنه صريح التجسيم من
الحشوية أمثال الدرامى و من على شاكلته
تأييد لرأيه . و توثيقاً لمذهبه فى التجسيم .
و رأيكم و من على شاكلتكم تقلدون ابن

تيمية تقليداً أعمى و لا تحيدون عن آرائه و أقواله فى هذا الصدد قيد أنملة ، فمن منا أحق بالثناء و الإشفاق و أولى بالعلاج . و من منا نصير البدعة و المبتدعين ! ؟ . و أما شيخكم و إمامكم الحراني فقد ذمه كثير من العلماء و الأئمة قديماً و حديثاً . و لم يكونوا من الضعف العلمى فى قليل و لا كثير .

و اسمع قول الذهبى من نصيحة بعث إليه قال فيها يخاطبه : " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، و تبا لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، إلى كم ترى القذاه فى عين أخيك و تنسى الجذع فى عينك ، إلى كم تمدح نفسك و شقاشقك و عباراتك و تذم العلماء " .

و منها فى صفه أتباعه وصفة نفسه : " إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد . يا خيبة من اتبعك . فإنه معرض للزندقة و الانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم باطولياً شهوانياً ، و لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده و لسانه . و فى الباطن عدو لك بحاله و قلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قيد مربوط خفيف العقل ! أو عامى كذاب بليد الذهن !

أو غريب واجم قوى الفكر ! أو ناشف
صالح عديم الفهم . و إن لم تصدقنى
ففتشهم وزنهم بالعدل ... إلى كم تصادق
نفسك و تعادى الاخيار . إلى كم تصادقها و
تزدري الابرار ! إلى كم تعظمها و تصغر
العباد ! إلى كم تجللها و تمقت الزهاد !
إلى متى تمدح كلامك بكيفة لا تمدح بها و
الله أحاديث الصحيحين . يا ليت أحاديث
الصحيحين تسلم منك ! بل فى كل وقت
تغير عليها بالتضعيف و الاهدار ! أو بالتأويل
و الإنكار ، أما أن لك أن ترعوى ؟ أما أن
لك أن تتوب و تنيب ؟ أما أنت فى عشر
السبعين و قد قرب الرحيل ؟ " (1) .

(1) هذه نصيحة الذهبى الابن تيمية ، وهى
ثابتة النسبة إليه . ولا قيمة للكلام الخطابى
العاطفى فى إبطالها . قال الدكتور المنجد
فى كتابه عن ابن تيمية " سيرته وأخباره
عند المؤرخين " ص 14 بعد أورد " النصيحة
الذهبية " : " شك بعضهم فى نسبة هذه
النصيحة للذهبى ولا شك عندنا أنها له .
فقد نقلت مخطوطتها من خط الذهبى ،
ولم ينكرها أحد من العلماء الذين نقلوها
كتقى الدين ابن قاضى شعبة وغيره ، ثم

إن هذا هو الأسلوب الذهبى عندما يهاجم " انتهى .

هذا كلام الذهبى فى صفة ابن تيمية و صفة أتباعه ، و قد فرهم الذهبى رحمه الله عن ذكاء ، و فتشهم عن تجربة و حلل نفسيته و تفسياتهم تحليلاً دقيقاً صادقاً ، ثم هذا الوصف الذى طبقه الذهبى على أتباع ابن تيمية المعاصرين له هو بعينه الوصف المنطبق على أتباعه المعاصرين لنا فى الوقت الحاضر حذو النعل بالنعل ، و كأنما نظر إليهم رحمه الله بمنظار دقيق من وراء أزيد من ستة قرون فاستشفهم و عرفهم ، و كم فى ابن تيمية من نواح يمدح عليها ، و نواح يذم من أجلها . و ناحية التجسيم هذه التى أولع بها ابن تيمية و ناضل عنها كثير هو و كثير من مشايغيه و أتباعه معدودة من أكبر شذوذاته ، و أشنع شناعاته .

=

مجسمة العصر
من فترة غير قصيرة ثارت بيننا وبين
أصحاب مجلة (الهدى) معركة حول نفى
التجسيم، وتنزيه الله تعالى عن شبه

المخلوقين, ثم لم نلبث أن لمحنا فى مثار
غبارها ذلك "الشيخ النجدى" ماثلا فى
صورة إبليس اللعين , وكأنما وقف عليهم
فى "دار ندوتهم" يشير عليهم بالرأى, وأن
يجعلوه فى هذه المعارك الناشبة صاحب
اللواء , و قائد الكتيبة الحمراء , فكتب مقالا
حشاه بكل رأى سخيـف , ولفظ غير شريف
, ونال من علماء الازهر نيلا مـزريا قبيحا ,
فرددنا عليه ردا وقف فى حرارة النقد عند
الدرجة التى أردناها , فثار ثائر (الشيخ
النجدى) و هاج هائجـه, وورم أنفه و انف
أصحابه , وبعد لأى صدرت مجلتهم , ولكن
بعد فوات الوقت المحدد لصدورها , فإذا
هى مثلهم وارمة الأنف "جوفاء معتلة فى
جوفها ورم" فقلنا : لهم الويل , ماذا فى
صحيفتهم ؟ وما الذى حدث حتى أصبحت
بعد حجمها الهزيل اللطيف , كحشية من
ليف!

فقل لنا : إن ذلك الشيخ أكتب لتكبر حجم
المجلة حتى تتسع للرد علينا نحن الخصوم
... مكث ذلك النجدى الهجف الجلف
الجافى الأخرق شهرا و أياما يجمع ألفاظ
السباب و الشتم و القذف و الافتراء و

الكذب وهى الفاظ حفظها ومرن عليها
وأعدها لمواقفه الجدلية مع خصومه, وكم
أفاتادته فى مواقفه, لأن خصومه يترفعون
عن منازلته القدرة بهذه الاسلحة وكم رأى
أنها مع شئ من المغالطات والتمويهات
ناجحة وموصلة للغايه التى يرمى إليها من
كسب الموقعه.

ورأينا رئيس هذه الجماعة - خذله الله -
يدعونا إلى كلمة سواء, ويظهر أمام قرائه
الاغرار المخدوعين بمظهر يجعله فى
أعينهم قديسا ونبيا من الصالحين, وسلفيا
بز الأولين والآخرين, فهو يقول: " وليس
من شيمه أنصار السنه المحمدية, ولا مما
ينبغى لمجلة الهدى النبوى أن تجارى
السبابين الشتامين " ويقول: " ولم يغلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه
باللد ولا بالقوة ولا بالعنف والشدة, وانما
غلبهم بالحلم, والعفو والصفح " إلخ .
يقول هذا فى غير خجل, وينسى أنهم
السبابون الشتامون البادئون بكل شتم
وتكفير وتجهيل وتضليل, المعتدون على
كرامة هذه الأمة فى كل ما يكتبون,
القائمون بدعاية تبشيرية خطيرة فى مصر
ينعم بها بال المستعمرين, وتقر بها أعين

المسيحيين , الضاحكون على ذقون العامة
ببترهم من جسم الأمة بدعوى أن الداعين
سلفيون موحدون , وغيره, وقبلك بأسطر
كتب ذلك القيع السباب العياب أزيد من
خمسين صفحة تعلم أنت مبلغ ما احتوت
عليه من سب وإقذاع لى ولعالمين جليلين
هما فخر العالم الإسلامى لا يدفع ذلك ولا
يمارى فيه إلا أمثالكم من سفلة الناس
وسقاطهم " وانما يعرف الفضل من الناس
ذووه " .

أرأيت كيف عنون مقاله ؟ إنه عنوانه بقوله :
إلى نفاة وجود الله من كتاب مجلة الإسلام
. لقد وقعوا , فأين الفرار, نعم إن كان
جمهور العلماء من المسلمين فروا أمام
أسلافكم , ولم يحكموا خطط الدفاع عن
عقيدة التنزيه ويهدموا ما بناه سلفكم من
صروح عقائد التجسيم الزائفة, فنحن إذا
نفر من الميدان , ويفر معنا كل من ينزه
الخالق سبحانه عن المكان والجهة , وينزهه
عن الاستواء بمعنى الاستقرار الذاتى وغير
ذلك مما يوجب المثلية, وتشبيه الخالق
بالمخلوقين نفيا لوجود الله تعالى , لأن كل
مسلم يعتقد أن الله تعالى موجود و أن

وجوده واجب , ليس هناك مسلم ينفي وجود الله تعالى من كتاب " مجلة الإسلام " ولا من غيرهم, زلا يتوقف وجود ذاته تعالى على وجود مكان له, وأنتم تقولون إن لم نثبت له المكان وغيره مما أثبتته ظواهر النصوص من غير تأويل ولا صرف للنصوص عن الظاهر الحقيقي , فقد نفينا وجود الذات , وهذا سرى إليكم أيها الجهلاء المارقون من أن الله تعالى إن لم يكن كغيره من المخلوقات محسوسا ومحسورا في المكان فلا وجود له ؟..

وليست تزكية ابن القيم لكتابي الدرامى "وكون شيخ الإسلام ابن تيمية وصى بهما أشد الوصية وعظهما جدا" حجة توجب الأخذ بكل ما فى , وإن من يأخذ بما فيها من الكفر الصريح لهو كافر بإجماع الأمة, وقد سبق إلى هذا الكفر الصريح الشنيع القمصيمى المأفون المأبون(1) فى دينه معبود "حامد" ومولاه.

(1) هذه الكلمة استعرتها من كتاب نقض الدارمى , وكثيرا ما ينبز بها معارضة بل وبأقبح وأشنع .

وفيهذا الكتاب المطبوع بتحقيق حامد
الفقى وعلى نفقته ما تقشعر له الأبدان :
فمما لم يذكره وهو كثير قوله (ص 102) :
ثم عاد المعارض إلى مذهبه الأول ناقصا
على نفسه فيما تأول فى المسألة الأولى
فاحتج ببعض كلام جهم والمرسي فقال :
إن قالوا لك : أين الله ؟ فالجواب لهم : إن
أردتم حلولا فى مكان دون مكان , وفى
مكان يعقله المخاوق , فهو المتعالى عن
ذلك لأنه على العرش , وبكل مكان . فيقال
لهذا المعارض : أما قولك كالمخلوق فهذه
كذبه منك وتلبيس , ولا يقوله أحد من
العلماء , ولكنه بمكان يعقله المخلقون
المؤمنون بآيات الله , وهو على العرش
فوق السماء السابعة دون ما سواها من
الأمكنة , وعلمه محيط بكل مكان , وبمن
هو فى كل مكان , من لم يعرفه بذلك لم
يؤمن , ولم يدر من بعيد ومن يوجد اهـ فهو
بذلك قد عين مكان إلهه وحدده وزعم
مكانه معقولا لا مجهولا , وقال من لم
يعرفه بالمكان لم يؤمن ولم يدر من يعبد
ومن يوحد , ومن هنا أخذ أولئك الطغام
الوالسون المدلسون أن من لا يثبت
والجوارح إلخ لم يدر من يعبد ومن يوحد ,

وكان من نفاة وجود الله تعالى.
وقد نحا ابن القيم فى نونيته منحى الرامى
وأضرابه , وخلط فى الاعتقاد خلطا شديدا
فمن ذلك قوله:
الله فوق العرش فوق سمائه سبحانه ذى
الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل ما قد أط رحل
الراكب العجلان
وقوله:
والفرق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه
لفاطر الأكوان
لكن نفاة الفوق ما وافوا به جحدوا كمال
الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعلى لا يفوق
الذات للرخمن
أى أن الأشاعرة وجمهور المسلمين فسروا
الفوق بفوقية القدر لا الفوقية الذاتية.

ولا شك أن القول بالفوقية الذاتية ونحوه
على ما ذهب إليه ابن زفيل والدرامى وابن
تيمية, ومن تابعهم من حشوية العصر
يوجب التشبيه, لما يترتب على اعتقاد
حصول الذات فى المكان المعين المعقول
المعلوم من تشبيه الله تعالى بالحادث

المحوز فى المكان, ووصفه سبحانه بشئ
هو من صفات خلقه, وهو أيضا يوجب
التجسيم لإثبات هؤلاء المجسمة لله تعالى
ما هو من اللوازم البينه للأجسام, وأما
العلم ونحوه مما لم يكن جوهرًا مقدرا من
الأجسام التى يلزمها المكان لزوما بينا , فلا
يلزم من اتصاف الله تعالى به, ما يلزم
على اتصافه بالفوقية الذاتية, وذلك معلوم
بالبداهة. وهؤلاء الحشوية على غلوهم
وإمعانهم فى اللغو والباطل لهم أغلوطات
مقصودة, ومغالطات مكشوفة, لا تلبث أن
تذوب أمام حرارة البرهان, وتفتضح بما
يلقى عليها من الأضواء الكاشفة, فهم
يقولون دائما إن الوجه واليدين واليمين
والساق والقدم والأصابع, والاستواء
والفوقية, والمجئ والنزول إلخ صفات إذا
كان إثنتها لله يوجب تشبيها, فإثبات غيرها
من الصفات كاحياة والعلم والإرادة
والقدرة يوجب أيضا تشبيها ولا فرق , لأن
كلا من هذين النوعين يتصف بهما الحادث,
وقد قلتم باتصاف ذات الله تعالى بالحياة
والعلم إلخ ولم يلزم عليك عندكم تشبيه
ذاته بذوات خلقه, فلم لا تقولون أيضا إن
ذات الله تتصف بما ورد فى الكتاب والسنة

من الوجه واليدين, والاستواء على العرش
بمعناه الذى هو استقرار من غير تأويل,
والثقل على العرش حتى يثب أى
أى سمع له صوت كأطيط الرجل بمعناه
من غير تأويل , إنكم لم تؤمنوا بهذا كله
تكونوا نفاة معطلين, فكما قلتم له علم لا
كالعلوم, وإرادة لا كإرادات, وقدرة كالقدر,
فقولوا أيضا له وجه لا كالوجه, ويد لا
كالأيدى.

وهم يتوسعون فى إثبات هذه الظواهر من
المتشابه على حالها وعلى ما يفهم منها
من غير تأويل ولا صرف لها عن ظاهرها,
ونحن نصرفها عن ظاهرها ونؤولها بما
يوافق العربية طلباً للتنزيه وبعداً عن
التشبيه, وهذا هو موضع النزاع بين المشبه
وأصحاب التنزيه, ومثار الجدل بيننا وبين
خصومنا اليوم , وقد تقرأ لشيخ الإسلام ابن
تيمية تسعين وجهاً أو سبعين وجهاً فى
إثبات هذه الظواهر , والرد على الأشاعرة
فيما عمدوا إليه من التأويل , وحملهم
المتشابه على المحكم تنزيهاً لله سبحانه و
وهو شديد الجرأة والعناد, يريد أن يصل
إلى مطلوبه بالثرثرة والزخرف اللفظي,

وإن لم يبن كلامه على أساس من العقل والمنطق الصحيح.

وفى الحق : إن الناظر فى كلامه يشعر أنه فى تقرير مطالبه يسلك من وعورة البحث مسلكا خشناً يربك فيه من محارات العقول , ومتاهات الأفهام , ما يدعك تتيه معه فى أودية من الضلال , والسبب فى ذلك واضح , وهو أنه يبحث فى ذات الله تعالى وصفاته بحثاً يجعلها على صورة ما يرد فى النصوص من الظواهر , ولذلك يقول تقى الدين السبكي فى كتابه " السيف الصقيل " فى حق هذا الرجل : " ثم جاء فى أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع , ولم يجد يهديه وهو على مذهبهم , وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه , ويجد أموراً بعيدة فبفضل جسارته يلتزمها : فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى , وأن الله سبحانه ما زال فاعلاً , وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو سيأتى .

ويشق العصا , وشوش عقائد المسلمين , وأغرى بينهم " إلخ .

وكتب الأستاذ الكوثري فى تكملة الرد على نونية ابن القيم فقال : " اتفقت فرق

المسلمين سوى الكرامية وصنوف الجسمة على أن الله سبحانه منزّه عن أن تقوم به الحوادث , أن تحل به الحوادث , وأن يحل فى شئ من الحوادث , بل ذلك مما علم من الدين بالضرورة , ودعوى أن الله لم يزل فاعلا متابعة منه للفلاسفة القائلين بسلب الاختيار عن الله سبحانه , وبصدور العالم منه بالإيجاب , ونسبة ذلك إلى الإمام أحمد والبخارى كذب صريح , وتقول إلى آخر هذا البحث النفيس.

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ سلامة الزامى القضاعى الشافعى فى رسالته " فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان " وهى رسالته جعلها كالمقدمة لكتاب " الأسماء و الصفات " للبيهقى المطبوع حديثا بمطبعة السعادة بمصر فى صدر الكلام على الحشوية ما نصه : " وهى من الحشوية مغالطة مفضوحة , وباطل مكشوف للناقد البصير , فإن الوجه والعين واليد والرجل والساق أجزاء و أبعاض وأعضاء لما هى فيه من الذوات لا معان وصفات تقوم بموصوفات , فأين هى مما ألحقونا به من الحياة و العلم والإرادة

والقدرة ؟ وهل هذا إلا كتشبيه العالم
بالعلم ، والابيض بالبياض ، وهل تسميتهم
لها بالصفات إلا تستر لموقفهم من
التشبيه ، بما لا يسترهم عن ذوى الأنصار
النافذة ، وتحجب عن سهام النقدة من أهل
السنة الراسخين فى علم الكتاب العزيز
بنسج العنكبوت ، وهو كما علمت لا ينفعهم ،
ولا يدفع عنهم منها شيئاً ، فأن تهرب منهم
متهرب- وكثيراً ما يفعلون- وقال : إنا لا
نريد بالوجه ما هو أجزاء وأبعاد ، بل ما
هو صفات حقيقية كالعظمة و الملك
والبصر والقدرة ونحوها ولكننا لا نعين
المراد- قلنا : مرحباً بالراجعين إلى الحق ،
وبشرى بالرجوع إلى صميم الإسلام ولب
العلم والسلفية الحق ، و لا نزاع بيننا
وبينكم فقد انصرفتم عن الحشوية ، ولكنهم
والأسف ملء فؤادنا عليهم على ذلك لا
يشتون ، وما أسرع ما تراهم إلى القول
بالتجزئة والتشبيه يرجعونو فنعود بالله
تعالى من لافتن ، ما ظهر منها وما بطن "

ثم قال : تنبيه مهم : إذا سمعت فى عبارات
السلف قولهم إنما يؤمن بأن له وجهاً لا
كالوجه ، ويذا لا كالأيدى ، فلا تظن أنهم

أرادوا أن العلية منقسمة إلى أجزاء
وأبعض ، فجزء منها يد وجزء منها وجه غير
أنه لا يشابه الأيدي والوجوه التي للخاق
حاشاهم من ذلك ، وما هذا إلا التشبيه
بعينه، وإنما أرادو بذلك أن لفظ الوجه واليد
قد استعمل فى معنى من المعانى ، وصفة
من الصفات التى تليق بالذات كاعظمة
والقدرة غير أنهم يتورعون عن تعيين تلك
الصفة تهييا من التهجم على ذلك المقام
الأقداس. ثم قال: ويدلك على غرادة
السلف ما قلنا ما نقله الذهبى نفسه فى
كتابه الذى سماه " العلو " عن الإمام مالك
وشيوخه ربعة ونظرائهما أنهم قالوا حين
سئلوا عن قوله تعالى: ((الرحمن على
العرش استوى)) كيف استوى ؟ والكيف
غير معقول ، وكذلك نقل الذهبى بالسند
فى هذا الكتاب عن أبى عبد الله الحاكم
وأبى زرعة اتفاق جميع فقهاء الأمصار من
أهل تلك الأعصار ، أنهم يؤمنون بهذه
لصفات من غير كيف ، فأنظر كيف نفوا
الكيف مجمعين، وهو صريح فى أنها ليست
أجزاء ولا جسمانية، فإن الاستواء
الجسمانى وما إليه لا بد لها من الكيف
قطعا ، إذ هو لازم من لوازم ذاتها لذاتها ،

ونفى لازم الماهية لذاتها يستلزم نفيها عند جميع المنصفين من العقلاء، والذين لم يصابو بالأهواء، وانظر كيف سموها صفات، ولم يسموها أبعاضاً وأجزاء اهـ. ثم هذا الكلام : هل بقى للقميصي أسئلة عشرة وبواهر وقواهر، وتصديات وتحديات، وأنى يكون لكلام مردود ومذهب منقوض قديماً وحديثاً أسئلة وأجوبة؟.

أما الكتاب، إلا عند التعرض لما فيه مما هو كفر صريح وتجسيم قبيح والجنائية جنائتكم. وكتاب بخط "شويل" وطبع أخيه "سبع الليل" له صحاح الكتب أو يكون على الأقل فيه حشو وزيادات، ودس وإضافات، بالرغم مما عليه من سماعات، وهل بعد فضائح هذا الكتاب التى نشرها الأستاذ الكوثرى فى مقالاته لا تخلون؟ تعلمون أن هذه الكتب يفرح بها المستشرقون كثيراً وينشرونها بأعلى ثمن ويتخذون منها عدتهم لمهاجمة الإسلام فكيف بهم إذا شروا هذا الكتاب كما شروا كتاب السنه المنسوب لعبد الله بن احمد بن حنبل من قبل، ورأوا فيه مثل هذا الحديث : عن أبى

هريرة قال: قيل يا رسول الله مم ربنا
فقال من ماء مرور⁽¹⁾ لا من أرض : لا من
سماء ، خلق خيلا فأجراها فعرقت نفسه
من ذلك العرق "
وهل يغنيا بعد ذلك أن يقال : إن هذا
الحديث لا أصل له عند العلماء.
كتاب السنه
المنسوب للحافظ عبد الله بن الإمام أحمد
رضى الله عنه
نحن لا نعيب الحفاظ، ولكن نعيب ما نقرؤه
فى تضاعيف ما ينسب إليهم فى كتاب
مطبوع بقصد التشويش على عقائد
المسلمين ، وأكتفى هنا بحديث أدلى بها
إلى فضيلة الأستاذ الشيخ خليل الخالدى
رئيس محكمة النقض والإبرام فى
فلسطين سابقاً، وهو العالم الحجة الفقيه
الأصولى الرحالة المعروف ، قال حفظه
الله:

(1) هكذا هى "مرور" انظر (ص 143) من
كتاب الدارمى المطبوع على نفقة حامد
الفقى .

عبد الله بن أحمد بن حنبل روى عنه الإمام أبو حاتم الرازى فى كتابه المسمى بالجرح والتعديل، وهذا الكتاب الذى عليه سماعات كثيرة، يعتبر أصلاً صحيحاً، ونسخه من أصح النسخ، وهو أبرز كتاب، وأجل كتاب فى الجاح والتعديل، وكل من كتبوا فى هذا الشأن، فهم عيال على هذا الكتاب، وإذن فيجب علينا التثبت فى صحة نسب هذا الكتاب إلى الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، والقاعدة عند المحدثين والأصوليين أنه لا يثبت الكتاب لمؤلفه إلا إذا وجد له أصل صحيح؛ والأصل الصحيح لا يعدو أحد وجهين: إما أن يكون يخط المؤلف، أو يكون قد ثبت عنه ثبوتاً صحيحاً باللاوية عنه عن المؤلف نفسه برويات صحيحة عليها خط المؤلف، أو خط الحفاظ الأثبات العدول، فبأخذ هذين الوجهين يثبت أن الكتاب لمؤلفه، وبدون ذلك لا يثبت، وما علينا إلا الرجوع إلى قول أبى حاتم فى الإمام عبيد الله بن الإمام أحمد، وقد روى عنه كثيراً وعدله، وهو بلا شك حجة وأى حجة، ثم إن نسبة هذا الكتاب له لم تعرف، ولا يبعد أن يكون دس عليه فيه أشياء، مثال ذلك ما وقع لكتاب "الفقيه الأكبر لأبى

حنيفة حتى أنه فى سنة 1351 هـ لما كنت
بالمدينة المنورة وجدت أصليين صحيحين
فى مكتبة شيخ الإسلام " عارف بك "
ووقفت فى إحداهما على قوله: " وأبواه
صلى الله عليه وسلم ماتا على الفطرة "
وفى الأخرى " وأبواه صلى الله عليه وسلم
ماتا على الفترة " فتحقق لى أن النسخ
الشائعة الذائعة التى نرى فيها كلمة الكفر
أن أبوية صلى الله عليه وسلم ماتا على
الكفر ، قد صحفت فيها كلمة الكفر عن
إحدى هاتين الكلمتين الفترة أو الفطرة
لقربها فى الصورة الخطية، ونأسف لأن
الذين كتبوا على هذه الجملة كعلى القارى،
وأكمل الدين ، وأمثالهم ، لم يتحرروا.

ثم قال الأستاذ : ولا يغيبن عن الأذهان أن
كتباً أخرى كثيرة نسبت لأعلام العلماء وهى
فى الحقيقة ليست لهم ، وأن كتباً أخرى
دخل عليها التحريف والتغيير و المسخ ،
وهذا فى جملته وتفصيله لا يخفى على من
يتتبع ذلك فى مظانه اهـ كلام الشيخ الله.
وأما كتاب التوحيد لابن خزيمة فربما تكلمنا
عليه فى فرصة أخرى.
صور من كتاب " نقص الدرامى "

وما يقابلها من ردود العلماء على المجسمة
طبع فى الآونة الأخيرة هذا الكتاب بتحقيق
وعلى نفقة رأس طائفة المجسمة
المسمين " جماعة أنصار السنة المحمدية "
وهو رابع كتاب ينشر بمصر لترويج هذه
البضاعة الزائفة ، والدعاية إلى عقيدة
التجسيم الزائفة باسم نصر السنة
المحمدية.

وفى مقدمة النشر يقول رأس الجماعة ،
فى الجط من شأن كتب علم الكلام
الجامعة لمذهب الأشاعرة والماتريدية "
ودعوها كتب العقائد والتوحيد ، وهى فى
الواقع إنما وضعت - عن جهل أو علم -
لزلزلة العقائد، والتشكيك فى الله "
ويقول : " ولقد عم الشر والبلاء بهذه
الكتب المشككة فى الله وفى صفاته التى
اختارها - وهو الحكيم الخبير - ووصف بها
نفسه فى كتابه العربى المبين، ووصفه بها
رسوله الذى ما ضل وما غوى ، وما ينطق
عن الهوى".

ويقول فى التنبيه من شأن كتاب الدارمى
وتقريضه : "وبعد فهذا كتاب (النقض على
بشر المريسى) تأليف الإمام الحجة
المحدث الحافظ عثمان بن سغيد الدارمى

الذى يقول فيه الإمام ابن القيم رحمه الله
فى كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية : "
وكتابه - أى هذا وكتاب الرد على الجهمية -
من أجل الكتب المصنفة فى السنة
وأنفعها، وينبغى لكل طالب سنة مراده
الوقوف على ما كان عليه الصحابة
والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ
الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصى بهذين
الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً،
وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء
والصفات بالعقل ما ليس فى غيرهما ."

" وأثنى على كتابه هذا كثير من السلف ،
وقرظوه بعبارات فخمة، وهو فى الواقع
كما قالوا،
لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ، دعاه إليها
عنف الرد، وشدة الحرص على إثبات
صفات الله وأسماءه التى كان يبالغ بشر
المريشى الضال المارق وشيعته فى نفيها ،
غير أنه كان الأولى والأحسن إلا يأتبها ،
وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة
الصحيحة كمثلى : الجسم، والمكان ،
والحيز ، فإننى لا أوافق عليه ، ولا أستجيز
إطلاقها، لأنها لم تأت فى كتاب الله ، ولا

فى سنة صحيحة "إلخ هذا بعض ما فى
مقدمه النشر لشيخ الجماعة ، وهو
والجماعة جميعا موافقون على ما فى
الكتاب إلا بعض ألفاظ كإثبات الجسم
والمكان ، والحيز لله تعالى كأن الأولى فى
نظرهم والأحسن فقط عدم عدها فى باب
الأسماء والصفات أى لأنها لم ترد بألفاظها
فى الكتاب والسنة ، ويوضح اتجاهه هذا
واتجاههم معه أنه كتب على قول الدارمى
: "وهو لا يعرف مكان واحده " أى إلهه
هذه العبارة بنصها : " كان خيراً لو قال
"أين " ولم يقل "مكان" .

فمن الخيرية والأولية فقط عنده القتصار
على لفظ " أين " الوارد فى السنة ، وغاب
عن ذهنه أن " أين " يستفهم بها عن
المكان فلا فرق إذا بين التعبير بها أو
بمرادفها ، والدارمى يثبت لله الجسم
والمكان والجهه والحيز ، ويثبت أن الله
تعالى يحس بالحواس الخمس ، ويبالغ فى
إثبات الظواهر كلها سواء وردت بألفاظ أو
بمرادفاتها أو أخذت بطريق اللزوم ،
فالعبرة عنده بالمعانى لا بخصوص
الألفاظ ، وسيتضح ذلك جلياً فيما سنضمه
تحت أنظار القراء من نصوص كتابه هذا

التي سنقابلها بغيرها من نصوص العلماء
المحررة فى الرد على المجسمة .

وقد وجدنا " شيخ الجماعة " نفسه فسر
الاستواء على العرش بالاستقرار ، ووقع
فى ذيل مقال له بهذه العبارة: " وكتبه
المفتقر إلى عفو ربه المستوى بذاته على
عرشه محمد حامد الفقى " فالاستواء
بالذات ، والاستقرار على العرش كل منهما
يقتضى التشبيه لا محالة ، ومن العجب أن
يثبت هؤلاء الاستقرار ، الاستواء بالذات
والحيز والجهة ، ويقولون : إن هذه الأمور
وغيرها من المتشابه لا تقتضى تشبيها ولا
تمثيلا ، وهو جمع بين الشئ وضده ، ولا
يجتمع تجسيم وتشبيه ، مع تقديس وتنزيه
إلا فى عقول اصطلح عليها الضدان ،
 واجتمع فيها المتناقضان ، فكأنهم يقولون :
إن الله مستقر بذاته على عرشه مستو
بذاته عليه ثابت له المكان والحيز والجهة
فهو إذا جسم ، ويقولون مع هذا بتنزيهه عن
الجسمية والمثلية ، وعن المكان والجهة إلى
غير ذلك فهو إذن ليس بجسم فيؤل كلامهم
إلى أنه جسم ليس بجسم .
وهم يودون لو ذهبت كتب علم الكلام كلها

فى خبر كان ، وبقى كتلب الدارمى وبضعة
كتب أخرى على غرارہ حشرت فيها
المتشابهات المتعلقة بالأسماء والصفات
حشرا، ويتمنون لو حلت محل الكتب
المدونة فى علم الكلام على طريقة
الأشاعرة والماتريدية ، وضياع ذلك التراث
الخالد ، وذهبت نتائج قرائح العلماء كلهم
ضياعاً.

فلننظر إذا إلى ما فى كتاب الدارمى ،
ولنعرض صوراً منه على أنظار القراء ،
ونقابلها بنقائضها من كلام العلماء ، وهذا ما
يوضح لك مقصد " الجماعة " ، ويبين لك
حقيقة معتقدهم ، ويحدد لك طريق
اتجاههم ، فانظر إذن وتأمل ولا تنزعج!!

فى "ص 20" يقول الدارمى مخاطباً
معارضه ما هذه صورته : " وأما دعواك أن
تفسير ط القيوم " الذى لا يزول فلا يتحرك
، فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ،
مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو عن بعض أصحابه أو التابعين لأن الحى
القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء لأن
إمارة ما بين الحى والميت التحرك ، كل
حى متحرك لا محال ، وكل ميت غير

متحرك لا محالة " انتهت عبارة الدارمى
وكتب الشيخ حامد الفقى فى ذيل الصفحة
على هذه العبارة ما نصه : " هذه ألفاظ لم
ترد فى القرآن ولا فى السنة فنتوقف عن
وصف الله بها " وكأنه إذا وجد هذه الألفاظ
فى القرآن والسنة لم يتوقف عن وصف
الله بها على نحوها وصفه بها إمامه
الدارمى .

وكان الأستاذ يغالط نفسه ويتجاهل أن
المجسمة يثبتون الحركة بنحو قوله تعالى:
" وجاء ربك والملك صفا صفا (22) " هل
ينظرون إلا أن يأتهم الله فى ظلل من
الغمام والملائكة " وبأحاديث منها ما رواه
الدارمى فى كتابه هذا بسنده إلى أبى
هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ك " يجمع الله
الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد
شيئا فليتبعه، قال : فيقول المؤمنون : هذا
ماننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه،
فيأتهم الله فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت
ربنا فيتبعونه " .

ويثبتون النزول بحديث : " ينزل ربنا ليلة
إلى السماء الدنيا " الحديث .

ويثبتون الجلوس والقعود بمثل ما رواه

الدارمى بسنده عبد الله بن خليفة قال :
"أتت امرأة إلى النبی صلی الله علیه
وسلم فقالت ك ادع الله أن يدخلنى
الجنة، فعظم الرب فقال: إن كرسىه وسع
السموات والأرض ، وإنه ليقعد علیه فما
يفضل منه إلا قدر أربع أصابع ومد أصابعه
الأربع ، وإن له أطيطاً كأطيط الحل الجديد
إذا ركبه من يثقله ."

فهذه الآيات والأحاديث هى التى اعتمد
عليها الدارمى فى إثبات الحركة والنزول
والجلوس ، وقد مرت على الأستاذ ، وهو
يباشر طبع الكتاب فكيف يقول : إنه يتوقف
عن وصف الله بها زاعماً أنها لم ترد فى
القرآن ولا فى السنة؟
ها هى ذى قد مرت به مرارا وتكرارا على
أنه لا ينكر أنه وصف الله بالاستواء وفسره
بالاستقرار الذاتى ، كما لا ينكر أن هذه
الظواهر حين مرت به فى مواضعها من
كتاب الدارمى لم يؤؤلها بما يصرفها عن
ظاهرها ، ولم يعلق عليها بكلمة واحدة فهو
والدارمى سواء حىال هذه الألفاظ ما فى
ذلك شك وإلا كان من المؤولة فيكون من
فناء وجود الله !!

ثم بإزاء هذه الصورة المعروضة على أنظار القراء من كتاب الدارمى ومقدمته أضع فى مقابلتها صورة أخرى مما أنقله من كتاب " العواصم من القواصم " لإمام من أئمة الحديث هو القاضى أبو بكر بن العربى قال: (ج 2 ص 17) قاصمة: وقد بينا فى غير موضع أن الكائدين للإسلام كثير ، والمقصورون فيه كثير ، والمشتغلون قليل ، فمن كاده (الباطنية) وقد بينا جملة من أحوالهم ، وممن كاده (الظاهرية) وهم طائفتان إلى أن يقول : يقولون إن الله أعلم بنفسه وصفاته وبمخلوقاته منا /وهو معلمنا ، فإذا أخبرنا بأمره به كما أمر ، وقالوا حين سمعوا " هل ينظرون إلا أن يأتهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة " " وجاء ربك والملك صفا صفا (22) " فأتى الله بنينهم من القواعد " " وينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا " إنه يتحرك وينتقل ، ويذهب من موضع إلى موضع ، ولما سمعوا قوله : " الرحمن على العرش استوى (5) " قالوا : إنه جالس عليه متصل به ، وأنه أكبر بأربع أصابع إلى أن يقول : وقالوا : إنه يتكلم بحرف وصوت، وعزوه إلى أحمد بن حنبل ، وتعدى بهم الباطل إلى أن يقولوا :

إن الحروف قديمة، وقالوا : أنه ذو يد
وأصابع وساعد وذراع وخاصرة وساق
ورجل يطاء بها حيث شاء ، وإنه يضحك
ويمشي ويهرول ، وأخبرني من أثق به من
مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحن رئيس
الحنابلة ببغداد كان يقول : ألزمنى ما
شئتم فإنى التزمه إلا اللحية، والعورة،
وانتهى بهم القول إلى أن يقولوا: إن أراد
أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه، فإنه
الله بعينه، إلا أن الله منزّه عن الآفات،
قديم لا أول له ، دائم لا يفنى ، لقول النّبي
صلّى الله عليه وسلم : " إن الله خلق آدم
على صورته " ، وفى رواية : " على صورة
الرحمن " ، وهى صحيحة ، فله الوجه
بعينه لا تنفيه ولا تتأوله إلى محالات لا
يرضى بها ذو نهى .

وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو الفرج
الحنبلى بدمشق ، وابن الرملى المحدث
بيت المقدس ، والقطروانى بنواحي نابلس
، والفاخورى بديار مصر ، ولحقت منهم
ببغداد أبا الحسين بن أبى يعلى الفراء ،
وكل منهم ذو أتباع من العوام جما غفيرا .
عصبة عصية عن الحق ، وعصية على

الخلق ، ولو كانت لهم أفهام ، ورزقوا
معرفة بدين الاسلام ، لكان لهم من
أنفسهم وازع ، لظهور التهافت على
مقالاتهم ، وعموم البطلام بكلماتهم ، ولكن
الفدامة استولت عليهم ، ولا آذان يسمعون
بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل اهـ . هذا
كلام أبى بكر بن العربى فى الجزء الثانى
من " العواصم " من ص 17- 20 .
كتاب التوحيد لابن خزيمة
الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن
خزيمة مؤلف هذا الكتاب سنة 311هـ من
كبار الحفاظ المبرزين فى نقد رجال
الحديث، ومعرفة متونه وعلله، وقد خاض
فى كتابه هذا كبعض الحفاظ من علماء
التحديث وأهل الأثر فى تفسير الآيات
والأحاديث المتشابهة، ولكونه لم يكن من
المحسنين فى فن الكلام على طريقة
المتكلمين فى أصول الدين وتقرير العقائد
إحسانه فى فنون الحديث ، قال فى ذات
الله وصفاته بما أنكره عليه علماء هذا
السان ، وبما كان حليفه فيه الخطأ وخطل
الرأى وغلط الفهم، لأنه التزم فى كل ما
تكلم عليه من هذه الأسماء والصفات
الوقوف عند ظواهر المتشابه وفهم

مفرداتها اللغوية فهما سطحيا عاميا
ووصفها بما تعطيه هذه المفردات من
المعاني الحسية الظاهرة بدون اقتصار
على الإيمان بأصلها المعلوم من الكتاب
والسنة والتفويض أو التأويل في وصفها
المتشابه وكيفيتها المجهولة ، لأن التأويل
عنده وعند من نجا نحوه وجرى على أصله
هو عين النفي والتعطيل ، والجرى على
هذا الأصل وهو عدم تأويل الظواهر
مطلقا ، وتحديد معانيها بما يفهم من اللفظ
عند الإطلاق بدون تأويل ولا تفويض مسلك
شائك يجر إلى مزالق يجب الكشف عنها
وبيان وجه الصواب فيها .

ومما لا ريب فيه أن محاولة إدراك كثير من
هذه المعاني على ظواهرها دون تفويض
ولا تأويل هي في الحقيقة محاولة لإدراك
كنه الذات وحقيقة الخالق جل وعلا ، وهو
ما لا نصل إليه بعقولنا وأفهامنا ، لا نحصر
مدرتنا في محيط من العالم الحسي بجعانا
لا نستطيع أن ننفذ بأنظارنا الكلية
وعقولنا المحدودة إلى ما وراء حجب الغيب
المحيطة بجلال قدسية الذات الأقدس ،
تقدس أسماءه ، وتعال صفاته .

وهناك أحاديث كثيرة دلت على استحالة معرفة ذاته تعالى بالكنه منها قوله عليه الصلاة والسلام : "سبحانك ما عرفناك حق معرفتك " .

وقوله : " تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا " .

وقوله فيما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعا : " تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرونه قدره " .
وقوله : " تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته " .

ومن كلام المرتضى رضى الله عنه .
العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن كنه ذات الله إشراك

والشطر الأول من هذا البيت الفذ تضمنين لقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : " العجز عن درك الأدراك إدراك " وإذا كان اكتناه حقيقة الذات إثباتا لمتشابهه بوصفه المفهوم من اللفظ عند الإطلاق وكيفيه المجهوله لنا ، ليس فى مقدور أحد فضلا عن أنه يفضى إلى إثبات الجهة والمكان والأجزاء والأبعض لله تعالى كان المذهب الحق فى المتشابه أحد وجهين :
إما الإيمان بأصلها الثابت فى الكتاب

والسنة مع تفوض علم المراد منها إلى
علام الغيوب بدون تحديد وتعريف،
وتوصيف وتكييف وهذا هم مذهب السلف .
وإما الإيمان بالأصل الوارد وصرفه عن
معناه الظاهر بضرب من التأويل لا تأباه
العربية ، ولا يخرج عن قانون اللغة التي
نزل بها القرآن ، وهذا هو مذهب الخلف .

وقد أشار فضيلة المفتى الأكبر فى حديث
له مع الأستاذ الهياوى صاحب جريدة
المنبر إلى المذهب الحق فى المتشابه ،
قال: فكان الذى سمعته من فضيلته تقرير
مذهب السلف " إرجاع الأمر بالمتشابهات
إلى علم الله تعالى مع التنزيه المطلق ،
ومع الإيمان بانتقاء كل مماثلة للحوادث ،
وأن ما عدا ذلك ليس من الدين فى شئ "
وسنرى أن ابن خزيمة فى كتاب " التوحيد
" بناء على أصله من عدم صرف الظواهر
عن معناها ، ولو أدى ذلك إلى مماثلة ذات
الله تعالى للحوادث سيخرج عن المذهبين
جميعا : مذهب السلف ، ومذهب الخلف .
ثم إن تأويل بعض المتشابهات ، وصرف
بعض الظواهر عن معناها أمر لا بد منه ،
وبيان على ذلك على ما ذهب إليه الإمام

فخر الإسلام : أنه ورد فى القرآن ذكر
الوجه والعين والجنب الواحد والأيدى
ةالساق الواحدة ، فلو أخذنا بظاه هذه
النصوص للزم إثبات إله له وجه وعلى ذلك
الوجه عدة أعين ، وله جنب واحد ، وعليه
أيد كثيرة كل يد منها يمين ، وله ساق
واحدة ، ولا نرى صورة اقبح من هذه
الصورة تامتخيلة ، ولا يرضى عاقل أن
يصف ربه بهذه الصفة المشوهة.

وأنه ورد أيضا قوله تعالى : " الله نور
السموات والارض " ومعلوم بالبداهة أن
إله العالم ليس هو هذا الشئ المنبسط
على الجدران والحيطان ، وليس هو النور
المنبعث عن جرم الشمس والقمر
والكواكب والنيران ، وإذان فلا يمكن إرادة
لامعنى الظاهر من لفظ المتشابه ، ولا بد
من صرف اللفظ المتشابه إلى معنى آخر
بأن يقال : الله منور السموات ةالأرض أو
الهادى بجميع أنواع الهدايات لأهل
السموات والأرض :

وكذلك لا بد من التأويل فى مثل قوله
تعالى : " من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا " وقوله : " فأتى الله بنينهم من
القواعد " وقوله لموسى وهارون ك " اننى

معكما اسمع وأرى " فإن المعية هنا معية
المعونة والحفظ والعلم والرحمة.

وكذلك لا بد من التأويل فى مثل قوله عليه
السلام : " الحجر الأسود يمين الله " وقوله
حكاية عن ربه : " من أتانى يمشى آتيته
هرولة " فإن المراد منه التمثيل والتصوير
لا المشى الحقيقى والهرولة الحقيقة .
وقوله عليه الصلاة والسلام : " قلب المؤمن
بين أصبعين من أصابع الرحمن وهذا أيضا لا
بد فيه من التأويل لأننا نعلم بالضرورة أنه
ليس فى صدورنا إصبعان بينهما قلوبنا .
فثبت بهذا و نظائره أنه لا بد من المصير
إلى التأويل حتما فى كل ما يوهم ظاهره
منزه عن الجهة والجسمية ، وإذا لم نصر
إلى هذه النصوص الواردة إجمالا ونكل
تفصيل علم المراد منها إلى علام الغيوب
سبحانه وتعالى .

وقد نقل المرجانى فى حاشيته على شرح
جلال الدين الدوانى أن الإمام الرازى فخر
الإسلام رحمه الله قال: إثبات اليد والوجه
حق عندنا ، لكنه معلوم بأصله، متشابه
بوصفه ، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز
عن درك الوصف بالكيف ، وإنما ضلت

المعتزلة، فإنهم ردود الأصول ، لجهلهم
بالصفات على الوجه المعقول ، فصاروا
معطلة

ويعلم منه أن إثبات الأسماء والصفات
بأصلها الوارد فى الكتاب والسنة ، وإن
عجزنا عن درك وصفها المتشابه ، وكيفها
المجهول هو المذهب الحق عند المتكلمين

وبعد هذا التمهيد والمقدمات - أنقل لك
فصولا من كلام ابن خزيمة فى كتابه
المسمى كتاب " التوحيد " لتعلم منه أن
الحفظ والتحديث غير الفقه وفهم الأحاديث
، وغير معرفة أصول الدين ، وتقرير عقائد
التوحيد .

ففى (ص 16) مانصه : " نحن نقول
وعلمائنا جميعا قى الأقطار إن لمعبودنا عز
وجل وجهها كما أعلمنا الله فى محكم تنزيله
فذواه بالجلال والإكرام ، وحكم له بالبقاء ،
ونفى عنه الهلاك ، ونقول إن لوجه ربنا عز
وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف
حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شئ
أدرکه بصره " .

وفيها: "ونقول إن لبني آدم وجوها كتب
الله عليها الهلاك ، ونفى عنها الجلال
والإكرام غير موصوفة بالنور والضياء
والبهاء التي وصف الله بها وجهه يدرك
وجوه بني آدم
أبصار أهل الدنيا ، لا تحرق لاحد شعرة فما
فوقها لنفى السبحات عنها" إلخ .
وفيها : " فهل يخطر- يا ذوى الحجا - ببال
عاقل مركب فيه العقل يفهم لغه العرب ،
ويعرف خطابها ، ويعلم التشبيه بذلك
الوجه، وهل ها هنا - أيها العقلاء - تشبيه
وجه ربنا جل ثناؤه الذى هو كما وصفنا و
بيننا صفة من الكتاب و السنة بتشبيه وجوه
بني آدم التى ذكرناها ووصفناها غير اتفاق
اسم الوجه، وإيقاع اسم الوجه على وجه
بني آدم كما سمي الله وجهه وجها، ولو
كان تشبيها من علمائنا لكان كل قائل : إن
لبني آدم وجها وللخنازير والقروود والكلاب
والسباع والحمير والبغال والحيات
والعقارب وجوها قد شبه وجوه بني آدم
بوجوه الخنازير والقردة والكلاب وغيرها "
إلخ .

وفى (ص 56-57) فكيف يكون - يا ذوى
الحجا من وصف يد خالقه بما بينا من القوة

والأيد ، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبها يد الخالق بيد المخلقين ؟ أو كيف يكون مشبها من يثيت لله أصابع على ما بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم للخالق البارئ، ويقول : " إن الله جل وعلا يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع" ويقول : إن جميع بنى آدم إلى أن ينفخ فى الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سماواته أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانهم كانوا غير قادرين على ذلك ، ولا مستطيعين له بل عاجزين عنه إلى أن يقول : فأى تشبيه ضر أصحابنا- أيها العقلاء- إذ أثبتوا للخالق ما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته له نبينا صلى الله عليه وسلم اهـ المراد نقله من كتاب " التوحيد " لابن خزيمة .

ونحن بإزاء هذه الظواهر كما أسلفنا لك فى هذا البحث على أصلنا الذى جرى عليه جمهور المتكلمين من الإيمان بالنص الوارد فى الكتاب والسنة مع العجز عن بيان المراد منه بوصف أو كيف ، وأمام هذا العجز الذاتى اللازم لذويتنا لقصور عقولنا عن إدراك كنه الذات ، وحقيقة الصفات .

إما أن نسلم ونفوض ونكل علم ذلك إلى الخالق جل وعلا ، وإما أن نؤول إن أمكن التأويل ، ومع هذا فلا يكون تأويلنا نصا في مراد الله تعالى الذى غيبه عن عقولنا ، بل يكون اجتهاد منا فى فهم معنى المتشابه أصاب المجتهد فيه أم أخطأ ، وابن خزيمة يجرى على أصله فى إثبات المعنى اللغوى المفهوم من الوجه واليد والعين والأصابع وغيرها معناه إثبات الجوارح والأعضاء والأجزاء زالأبعض لله سبحانه وتعالى ، وهذا هو عين التشبيه ، ولا يغنيه بعد ذلك أن يقول : إن الوجه واليد والعين فى الخالق تمتاز بصفات وخصائص لا توجد فى نظائرها من المخلوقين فلا تشبيه . على أنى أترك الكلام الآن للإمام فخر الدين الرازى ، ولا أقول "رازيهم" كما يقول " الشيخ النجدى " متندرا متطرفا ، بل أقول يكفى أن نسمع الآن ما يقول الإمام فخر الإسلام فى الحافظ ابن خزيمة :

قال فى تفسير قول : " ليس كمثله شئ " من سورة الشورى " ص 264-ج 7 " احتج علماء التوحيد قديما وحديثا بهذه الآية فى

نفي كونه تعالى جسما مركبا من الأعضاء والأجزاء ، وحاصلا فى المكان والجهة ، وقالوا : لو كان جسما لكان مثلا لسائر الأجسام ، فيلزم حصول الأمثال والأشياء له ، وذلك باطل بصريح قوله تعالى : " ليس كمثله شئ " ويمكن إيراد هذه الحجة على وجه آخر : فيقال : إما أن يكون ليس كمثله شئ فى ماهيات الذات ، أو أن يكون المراد ليس كمثله فى الصفات شئ ، والثانى باطل ، لأن الغباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين كما أن الله تعالى يوصف بذلك ، وكذلك يوصفون بكونهم معلّمين مذكورين مع الله يوصف بذلك ، فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة فى حقيقة الذات ، فيكون المعنى أن شيئا من الذوات لا يساوى الله تعالى فى الذاتية، فلو كان الله تعالى جسما لكان كونه جسما ذاتا لا صفه ، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له فى الجسمية أعنى فى كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة ، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات اللع تعالى فى كونه ذاتا ، والنص ينفى ذلك ، فوجب ألا يكون جسما ، واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية فى

الكتاب الذى سماه بالتوحيد وهو فى الحقيقة كتاب الشرك ، واعترض عليها ، وأنا ذاكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات لأنه كان رجلا مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل ، وبعد أن ذكر نحوه مما ذكرناه لك آنفا قال: وذكر (يريد ابن خزيمة) فى فصل آخر من هذا الكتاب أن القرآن دل على وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه فى صفات كثيرة ، ولم يلزم منها أن يكون القائل بها مسبها فكذا ها هنا ، ونحن نعد الصور التى ذكرها على الاستقصاء .

فالأول : أنه تعالى قال فى هذه الآية : " وهو السميع البصير " وقال فى حق الإنسان " فجعلناه سميعا بصيرا " .

الثانى : قال : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله " وقال فى حق المخلوقين : " ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء " .

الثالث : قال : " واصنع الفلك بأعيننا " " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا " وقال فى حق المخلوقين : " ترى أعينهم تفيض من الدمع " .

الرابع : قال لإبليس : " ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي " وقال : " بل يداه
مبسوطتان "

وقال: في حق المخلوقين : " ذلك بما
قدمت أيديكم " " ذلك بما قدمت يداك " "
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم " .

الخامس ك قال تعالى : " الرحمن على
العرش استوى (5) " ، وقال في الذين
يركبون الدواب : " لتستوا على ظهوره "
وقال في سفينة نوح: " واستوت على
الجودي " .

السادس : سمي نفسه عزيزاً فقال: "
العزيز الجبار " ثم ذكر هذا الاسم في حق
المخلوقين فقال : " ياأيها العزيز إن له أبا
شيخا كبيرا " " ياأيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر " .

السابع : سمي نفسه بالملك ، وسمى بعض
عبيده أيضا بالملك فقال: ط وقال الملك
اثتوني به ط وسمى نفسه بالعظيم ثم أوقع
هذا الاسم على المخلوق فقال: " ورب
العرش العظيم " وقال " ولها عرش عظيم
" .

وسمي نفسه بالجبار المتكبر ، وأوقع هذا

الاسم على المخلوق فقال: " كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار".
ثم طول في ضرب الأمثلة من هذا
الجنس ، وقال : ومن وقف على الأمثلة
التي ذكرناها أمكنه الإكثار منها فهذا ما
أورده هذا الرجل في هذا الكتاب .

وأقول : هذا المسكين الجاهل إنما وقع في
أمثال هذه الخرافات لأنه لم يعرف
المثلين ، وعلماء التوحيد حققوا الكلام في
المثلين ، ثم فرعوا عليه الاستدلال بهذه
الآية. فنقول : المثلان هما اللذان يقوم كل
واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وما
هيته وتحقيق الكلام فيه مسبوق بمقدمة
أخرى فنقول : المعتبر في كل شئ . إما
تمام ما هيته ، وإما جزء من أجزاء ماهيته ،
وأما أمر خارج عن ماهيته ، ولكنه يكون من
لوازم تلك الماهية ، وإما أمر خارج عن
ماهيته ، ولكنه ليس من لوازم تلك
الماهية ، وهذا التقسيم مبنى على الفرق
بين الشئ ، وبين الصفات القائمة به ، وذلك
معلوم بالبدية، فإننا نرى الحبة نم الحصرم
كانت في غايه الخضرة والحموضة ، ثم
صارت في غايه السواد والحلاوة ، فالذات

باقية والصفات مختلفة ، والذات الباقية
مغايره للصفات المختلفة ، وأيضا نرى
الشعر قد كان السواد ثم صار فى غايه
البياض ، فالذات باقية ، والصفات متبدلة ،
والباقى غير المتبدل ، فظهر بما ذكرنا أن
الذوات مغايرة الصفات ، وأذا عرفت هذا
فنقول الأجسام التى تألف منها وجه الكلب
والقرد مساويه للأجسام التى تألف وجه
الإنسان والفرس ، وإنما حصل الاختلاف
بسبب الأعراض القائمة وهى الألوان
والأشكال والخشونة واللامسة ، وحصول
الشعور فيه وعدم حصولها ، فالاختلاف إنما
وقع بسبب الاختلاف فى الصفات
والأعراض ، فأما ذوات الأجسام فهى
متماثلة إلا أن العوام لا يعرفون الفرق بين
الصفات ، فلا جرم يقوون إن وجه الإنسان
مخالف لوجه الحمار ، ولقد صدقوا فإنه
حصلت تلك المخالفة بسبب الشكل واللون
وسائر الصفات ، فأما الأجسام من حيث
إنها أجسام فهى متماثلة متساوية ، فثبت
أن الكلام الذى أورده إنما ذكره لأجل أنه
كان من العوام ، وما كان يعرف أن المعتبر
فى التماثل والاختلاف حقائق الأشياء
وماهياتها لا الأعراض والصفات القائمة بها

إلخ ما أورده الفخر الرازى هنا .

ويكفى هذا القدر فى تحليل كتاب ابن خزيمة وبيان ما احتوى عليه من مغالطات وجهالات ، فكيف يكون هذا الكتاب متمسكاً للخصوم .

صورة فتوى لمشيخة الأزهر فى عهد المغفور له الشيخ الجيزاوى عن كتاب " اجتماع الجيوش الإسلامية " وما جاء فيه من رأى المشبهة

" هو الذى أنزل عليك الكتب منه إيت محكمت هن أم الكتب وآخر متشابهات فأما الذين فى زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما تأويله إلا الله والسخون فى العلم يقولون إمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب (7) " القول فى كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية العزو إلى ابن قيم الجوزية الذى رفع إلى مشيخة الأزهر لإبداء رأيها فيه وها هو : هذا الكتاب وضعه مؤلفه ابن القيم تأييداً من القرآن والسنة ، حيث أوجبا الإيمان بظاهر ما ورد من ذلك مهما كان مخالفاً لمقتضى العقل السليم ، ومهما كان صريحاً فى التشبيه والتجسيم ، مخالفين فى ذلك

اجتماع الأمم الإسلامية واتفاق العلماء
أجمعين على أن أصول العقائد وقضايا
الإلهات إنما تؤخذ من البراهين العقلية ،
وأن العقل والنقل إذا تعارضا فى شئ من
ذلك قدم العقل لأنه أساس الإيمان
بالنقل ، وقد قام البرهان العقلى على
وجوب تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث ،
لأنه لو شابه شيئاً منها لكان حادثاً مثلها وهو
محال . وجاءت نصوص الشرع كلها مؤيدة
لهذه العقيدة إلا قليلاً من الآيات والأحاديث
النبوية جاءت موهمة للتشبيه فى ظاهرها ،
فوجب إحالتها عن ذلك الظاهر من نصوص
الآيات والأحاديث المحكمة التى توجب
التنزيه.

والعماء فى ذلك على قسمين : سلف الأمة
وخيرتها الذين لم يتكلموا فى ذلك بغير
التفويض فى علم المراد بذلك على وجه
التعيين مع اعتقاد التنزيه وشددوا النكير
على من سأل فى ذلك وخاص فى تلك
المهالك ، وكان الجواب بالتفويض فى ذلك
العهد من أمثال هؤلاء الأئمة فيه مقنع
للسائل لتمكن سلطان الإيمان فى القلوب
إذ ذاك.

ثم جاء الخلف وقد كثر الملحدون والذين
فى قلوبهم زيغ وتشبثوا بمواطن الاختلاف
والمتشابه من ذلك وكان الجواب بالتفويض
لا ينفع لهم غلة ، ولا يشفى لهم علة ،
وكانت أساليب اللغة العربية التى نزل بها
القرآن وجاء بها الرسول قد دونت علومها ،
وبينت أسرارها فلم تضق ذراعا بدواء ذلك
المرض بالجواب العلمى الشافعى القاطع
لشافة المجادلين فى هذه الآيات ونحوها
من الأحاديث . ووجدوا لذلك نظائر لا تخفى
فى كلام العرب الذين جاء القرآن بلسانهم
فأولوا كل موطن من هذه الآيات
والأحاديث بما يليق به مما يناسب المقام
من وجود البيان وعلى طرقه المقررة فى
علومه شأن علمهم فى سائر الكلام العربى
غير الكتاب والسنة .
ولكن خالف فى ذلك أبو العباس أحمد بن
تيمية وتلميذه ابن القيم وطائفة ممن معهم
، وقاموا بغارة شعواء على الخلف
المؤولين فى إيجاب التمسك بظاهر ذلك
حتى كأن القرآن والسنة لم يرد عندهم
على مناهج اللغة العربية وأساليبها
المعهودة ، وأفرطوا فى كثرة الجدل فى
ذلك وجمع النقول والرويات الواهية التى لا

يؤخذ بأمثالها في الفروع فضلاً عن تلك
الأصول كما فعل ابن القيم في كتابه "
اجتماع الجيوش الإسلامية" هذا الذي أفردته
للخوض في هذا الموضوع خاصة مع نقله
عن السلف الصالح تحريم الخوض في ذلك

وليت شعري إذا كان السؤال والبحث عن
آية واحدة أو حديث من ذلك بدعة ، كما
جاء ذلك عن السلف رضى الله عنهم ونقله
هؤلاء أنفسهم فماذا يكون أفراد ذلك بوضع
المؤلفات ، وتحرير الأسفار والمجلدات ،
فقد وقعوا فيما يحذرون وصار عليهم حجة
ما يلبسون .

وأذا كان هذا شأن كتاب "اجتماع الجيوش
الإسلامية" المذكور فيجب عدم نشره بين
الناس لأن كثيراً ممن لا تحقيق عنده ولا
غوص له في علوم المنقول، وفيما فرره
العلماء في أصول العقائد وأدلتها إذا قرأ
هذا الكتاب لا يكاد يخرج منه إلا وهو معتقد
التجسيم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وذلك بسبب ما يحدثه توالى هذه الأدلة
بعضها إثر بعض على ذهنه ، وما فيها من
بعض الروايات الواهية الكثيرة التصريح

بالتسبيه مع نزولها عن درجة الاستدلال بها
فى مثل هذا المقام ، ومصادمتها للمعقول
من أدله التنزيه التى هى أم الكتاب والتى
يجب إرجاع ما عداها إليها.

ولله در بعض العلماء حيث يقول بتحريم
جمع المتشابه وضم إلى بعض لهذا الأثر
السئ الذى بينا، ولأنه أيضا لم يجرى فى
الشرع إلا مفرقا فى مواطن مختلفة ،
وحيث وجب علينا الوقوف على حده وحرمة
أن نقول عليه تعالى شيئا من ذلك لم يرد
فكذلك يجب بقاءه مفرقا على الصفة التى
جاء بها ، وفى المواطن التى جاء فيها من
الكتاب أو السنة .

وقد قرر ذلك حجة الإسلام الغزالي وأنكر
شديداً على من جمع المتشابه من بعضه
إثر بعض وانتزعه 9 من مواطنه فى الكتاب
والسنة، وأفاض ذلك فى كتاب " إجماع
العوام " .

هذا ولقد رد كثير من العلماء على ابن
تيمية وابن القيم فى ذلك ، وكتب التوحيد
والتفسير والحديث فائضة بذلك على أن
الأمر واضح جداً فإن الجهة تستلزم بذلك
على أن الأمر واضح جداً فإن الجهة
تستلزم الجسمية، والجسمية تستلزم

الحدوث ، ولئن قالوا بجهة الفوق تمسكاً
بمثل قوله تعالى : " الرحمن على العرش
استوى(5) " وقوله : " إليه يصعد الكلم
الطيب " إلى آخر ما قالوا لكان من الواجب
أن يردهم من ذلك مثل قوله تعالى : " وهو
معكم أين ما كنتم " وقوله : " فأينما تولوا
فثم وجه الله " وقوله : وهو الله فى
السموت وفى الأرض " إلى آخر ما جاء من
النصوص التى لا يقصد بها إلا الإحاطة
العامة ، وببإام أن الأشياء كلها بالنسبة إلى
ربوبيته الشاملة على السواء .
ولا معنى لأن يقولوا بالفوقية على معناها
الظاهر منها ، ثم يؤولوا فى المعية وبقية
النصوص ، ولا شك أن هذا تحكم .
والمقصود من تلك النصوص كلها وراء ما
فهموه من ظاهرها ، لأن هذا الظاهر
يخالف المعقول والمنقول جميعه لدى من
له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وليس ينكر تنه البارى عز وجل عن
الجسمية ولوازمها إلا من غلظ حجاب
وضعت روحانيته وكثفت جسمانيته حتى
لم يستطع أن يفهم أن وراء الأجسام ،
وفوق الجهات من يتعالى عنها ، ويجب أن

يبرأ منها مع كثيراً من علماء الكلام
والتصوف والفلسفة يثبتون ذلك للجواهر
المجردة الحادثة فضلا عن الباري عز وجل

وبوجه آخر من البيان نفول : إنه لا مخلص
لهم من إحدى ثلاث إما أن يكونوا قائلين
بالتنزيه عن الجسمية ولوازمها فنكون
معهم ويكونوا معنا ولا داعي لطول الجدل
وكثرة القيل والقال ، وإما أن يقولوا بالجهة
التي تستلزم الجسمية والتحديد لا محالة
وينسوا اللزم والملزوم جميعا فيكونوا قد
خرجوا عن الدين ومرقوا من زمرة
المسلمين ، وحاشا أن يكونوا كذلك .
وإما أن يقولوا بما يستلزم الجسمية مع
كونهم ينقونها ، حينئذ يكونون قد تكلموا
بما لا يفوه به العقلاء فتسقط مكالمتهم ولا
تجوز محاورتهم .

هذا وكتاب " اجتماع الجيوش الإسلامية " لا
نعلم نسبته إلى ابن القيم على القطع ،
فربما كان مدسوسا عليه من بعض ذوى
الأنواء الضالة ، والله يتولى هدى الجميع .
شرح معنى الاستواء
المطابق للبلاغة والتوحيد
ويليه :

مغالطات القصيمي
للأستاذ الباحث المهندس حامد عبد
الرحمن
شرح معنى الاستواء
المطابق للبلاغة والتوحيد (1)
لحضرة الباحث المفضل حامد بك عبد
الرحمن باشمهندس الرى سابقاً
قال تعالى : ؟ إن ربكم الله الذى خلق
السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى
على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره
ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب
العالمين؟ (54) (سورة الأعراف) .
قبل الشروع فى بيان المفهوم من الآية
الشريفة نضرب مثلاً فى المخلوقات ، ولله
المثل الأعلى بصفة تمهيد لتقريب المعنى
للعقول فنقول وبالله تعالى التوفيق
والإعانة :

(1) مقالان نشرتا فى السنة الثالثة ، عدد (12)
وعدد (16) سنة 1354 = 1935 .

إننا إذا كلفنا مهندسا ميكانيكيا بعمل مكينة
فإنه يقوم بعملها وتركيبها خير قيام ، ولكن

إذا كلفناه بتشغيلها فقد يعجز إذا لم يكن كفوًّا لذلك العمل .

وإذا كلفنا غيره بتشغيلها ممن لهم خبرة بإنشاء مثلها عجز إذا لم يكن كفوًّا لذلك العمل أيضاً .

كما أنه قد لا يمكنه إصلاح عيوبها إذا تعطلت لأنه لم يكن مباشراً لتركيبها ، فلأجل الحصول على إنشاء مكيّنة تشتغل بانتظام مع ضمان عدم تعطيلها يجب تكليف مهندس آخر أكفأ منهما ليقوم بالإنشاء والتركيب والتشغيل جميعاً . فالأول والثاني كلاهما ناقص الخبرة والكفاءة والثالث أكمل منهما وهو الذى يصح أن يطلب منه هذا العمل مع الأطمئنان لأنه لا يقوم به غيره .

إذا علمت هذا فالمفهوم من الآية لأول وهلة أنه تعالى خلق السموات والأرض - ثم دبرها وأمرها بما أَرَادَهُ منها فصارت مسخرة بأمره - فله الخلق والأمر ، وهذا دليل على تمام القدرة وإذن يجب أن يفهم من الاستواء المعنى المطابق لذلك مع ملاحظة البلاغة وقواعد اللغة .

فنقول وبالله التوفيق :

أولا : حيث أن كلمة (خلق) فعل حادث

فما عطف عليه (بثم) حادث أيضا ،
والحادث لا يكون صفة لذات القديم جل
وعلا .

ثانيا : يجب أن يفهم من (استوى) المعنى
الذى يصح أن يكون متأخرا عن خلق
السموات والأرض وليس ذلك إلا الكناية
عن تدبير الملك فحسب اصطلاح اللغة
يقال : استوى فلان على سرير الملك كناية
عن قيامه بتدبير المملكة وإن لم يكن هناك
سرير ، وبذلك يكون المفهوم من
(استوى) بمعنى (قام بتدبير المخلوقات)
مناسبا لخلق لاسموات والأرض ومرتباً عليه
، لأن التدبير لا يكون إلا بعد الخلق ، ويؤيد
لك ما يفهم من قوله تعالى ؟ يغشى الليل
النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق
والأمر تبارك الله ؟ ولذلك يذكر الاستواء
بعد الخلق دائما .

ويؤكدده أيضا قوله تعالى : ؟ ألا له الخلق
والأمر؟ فهو لف ونشر مرتب فالخلق يشير
إلى خلق السموات والأرض ، والأمر يشير
إلى الاستواء على العرش .
ويؤيد هذا المعنى آية سورة يونس لأن

نصها : ؟ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم أستوى على العرش يدبر الأمر؟ فذكر التدبير بعد الاستواء هو كالتفسير له .

ثالثا : أما إذا فهم من (استوى) معنى جلس فينبني عليه جملة استحالات وهى :
أ- أن المعنى يكون هكذا : أن الله تعالى خلق السموات والأرض ثم جلس تعالى على العرش (وهذا يستلزم أنه قبل خلق السموات والأرض لم يكن جالسا على العرش ؟ .

ب- فأين كان جالسا ؟ وإن لم يكن جالسا على العرش قبل خلقها ، فما الداعى لجلوسه تعالى على العرش بعد خلقها ، وما العلاقة بين خلقه تعالى لها وبين جلوسه تعالى على العرش فهل لم يكن فى إمكانه خلقها إلا وهو تعالى غير جالس على العرش ؟

ج- وهل كان العرش خاليا من الجلوس وقت خلق السموات والأرض أم كان مشغولا بغيره تعالى ؟

د- وإن كان خاليا فلماذا - فهل كان تعالى مستغنيا عن الجلوس عليه ؟

هـ- وإن كان تعالى مستغنيا عن العرش

قبل خلق السموات والأرض فما الذى
أوجب احتياجه تعالى إليه ؟
و- وما الموجب لترتيب الجلوس على
العرش على خلق السموات والأرض ؟
ولماذا لم يكن الجلوس قبل خلقها ؟
فالعقل يقضى بأن الجلوس بمعنى التدبير
حاصل من بعد خلقها أما مجرد الجلوس فلا
معنى له ولا فائدة .
ز- وإن عدم الجلوس أولا ثم حصوله ثانيا
بعد خلقها يستلزم الحركة بعد السكون
وهما حادثان فكيف يتصف بهما القديم جل
ولعا .
ح- إنه لا تعظيم ولا بلاغة فى ذكر مجرد
الجلوس على العرش بعد خلق السموات
والأرض لأنه يدل على حصول تعب
استوجب الجلوس على العرش للاستراحة
كما أنه ليس مختصا بالإله ولا مدح فيه .

ط- إن جلوس الملوك على العرش ليس
جلوسا عاديا ولكنه له معنى خاص بإصدار
الأوامر اللازمة لتدبيرهم المملكة ، ولذلك
يكون جلوسهم مصحوبا بإلقاء خطبة
العرش لبيان تدبيرهم .
أما جلوسهم المعتاد فلا يكون على العرش

أصلا حتى ولو جلس على العرش فى غير الميعاد المحدد لبيان برنامج تدبيره فلا يعبر عنه بأنه جالس على العرش كما أن الملك يعتبر جالسا على العرش وإن كان متغيبا فى جهات أخرى فهذا الجلوس كناية عن قيامه بالحكم والتدبير .

ى- لو كان الجلوس صفة للذات الإلهية لكات قديما ، وهذا يستلزم إما قدم العرش وهذا محال ، وإما حدوث الجلوس وحدوث الذات الإلهية وهذا محال أيضا .

ك- إن قيل : إنه تعالى فوق العرش ، ولكنه يبعد عنه بمسافة فهذا أيضا محال لأنه ينافى الجلوس ، ولأنه تعالى يكون محمولا فى الفضاء ومحدودا من أسفله ، وهذا يستلزم تحديده تعالى من جميع الجهات لضرورة تماثلها حكما وهذا كله مستحيل على القديم جل وعلا .

أما من جهة البلاغة فنضع أمام عينك المعنى المفهوم على كلا التفسيرين لكلمة (استوى) لتحكم أيهما اللائق بعظمة الألوهية وبلاغة القرآن العظيم وأيهما المناسب لبيان كمال كمال الألوهية وصفاتها .

أ- أما المفهوم من الآية الشريفة على

المعنى الأول (لاستوى) يكون كالأتى :

(إن ربكم الله العظيم الذى ليس مثله شئ ، والذى لا يعجزه شئ ، والذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام دون أن يمسه لغوب ولا تعب بل قال لهما كونا فكانتا كما أراد ، ثم استوى برحمانيته على عرش المملكة وقام بتدبير مخلوقاته وتسخيرها بقدرته وعلمه فصارت مسخرة بأمره ومشيئته ، ومن تسخيرته تعالى إياها أنه يغشى الليل النهار بقدرته وحكمته فجعله يطلبه حثيثا وخلق الشمس والقمر والنجوم مشخرات بأمره ، فله كل ذلك فتعالى وتبارك ووسعت رحمته وقدرته وإرادته وعلمه كل ذلك لأنه رب العالمين فكيف يتعب وكيف يحتاج لمعين ، وكيف يكون له شريك ، ويفهم من الآية التى تليها فى السورة ، لذلك أدعوا ربكم الرحمن الذى رباكم برحمته ونعمه هذه التى سخرها لكم العظيم المقدس عن صفات الحوادث تضرعا وخفية ، لأنه لا يستحق دعاء العبودية من العبيد سواء كما لا رب سواء ، ولا قادر سواء ، ولا غنى على الإطلاق سواء ولا قديم سواء .

ب- والمفهوم منها على المعنى الثانى (لا
ستوى) يكون كالآتى :
إن ربكم الله العظيم الذى ليس كمثله شئ
والذى لا يعجزه شئ والذى خلق السموات
والأرض فى ستة أيام دون أن يمسه لغوب
ولا تعب بل قال لهما كونا فكانتا كما أراد
ثم جلس على العرش كما يجلس خلقه بعد
أن لم يكن جالسا عليه ، وعدم جلوسه
عليه يوهم أنه كان تحته مع السموات
والأرض التى هى تحت العرش ثم ارتفع
بكيفية توهم التشبيه بالعامل من الخلق ،
فإذا تعب من الوقوف فى العمل جلس
ليستريح .

يغشى الليل والنهار بقدرته وحكمته فجعله
يطلبه حثيثا وخلق الشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره فله تعالى خلقها جميعا ،
وله أمرها جميعا ليس لأحد سواه شأن فى
كل ذلك فتعالى وتبارك ووسعت بركته
ورحمته وقدرته وإرادته وعلمه كل ذلك لأنه
رب العالمين فكيف يتعب وكيف يحتاج
لمعين وكيف يكون له شريك .
وفهم من الآية التى تليها :

لذلك ادعوا ربكم الرحمن الذى رباكم
برحمته ونعمه هذه التى سخرها لكم
العظيم المقدس عن صفات الحوادث
تضرعا وخفية لأنه لا يستحق دعاء العبودية
من العبيد سواء كما لا رب سواء ، ولا قادر
سواء ، ولا غنى على الإطلاق سواء ، ولا
قديم سواء . فمعنى جلس مناقض لما
قبلها وما بعدها من صفات .

ج- فإذا تأملت فى التفسيرين وجدت أن
معنى كلمة (استوى) فى الأول متفقة مع
سياق التعظيم والتقديس دالة على كبرياء
الألوهية وسيطرتها على المملك ،
فالاستواء على العرش رمز للسيطرة
التامة .

بخلاف معنى (استوى) فى التفسير الثانى
فإنها اختلفت عما قبلها وما بعدها لفظا
ومعنى لدرجة توجب الحكم بأنها - أى
جلس - ليست من القرآن ، وأن معناها
يشبه الهذيان والعبث فى جميع معانيه مما
لا يليق بصفات المخلوق المعدى للعظمة
والقدرة فكيف بمن هو رب العظمة
والكبرياء والعزة والقدرة التى لا نهاية لها
والغنى المطلق وهذا وجه استحالة صحتها
من جهة البلاغة أيضا .

فكل هذه الاستحالات نتجت من فرض معنى (استوى) بمعنى (جلس) فإذا يجب أن يكون المفهوم منها مناسباً لمعنى تدبير الملك أو معنى آخر يتفق مع ما قبلها وما بعدها ، والله تعالى أعلم بمراده .
أما الجلوس الذى يتخيله من لهم فهم دقائق اللغة والتقديس والبلاغة فهو خطأ خارج كل الخروج عن قواعد اللغة ، وبذلك أرجو أن تزول الشبهة من أذهان الجامدين على الظواهر بدون ملاحظة قواعد اللغة وأصول البلاغة الاثقة بالقرآن العظيم والله الهادى .

المقالة الثانية

فى شرح المفهوم من آيات الاستواء على العرش بما يطابق أصول اللغة والتوحيد وبلاغة القرآن العظيم

قد أوضحنا فى المقالة الأولى ما يجب فهمه من الاستواء على العرش المذكور فى جملة آيات مع خلق السموات والأرض بأن المقصود هو لازم معناه ، وهو تدبير المملكة الإلهية وتسخير ما فيها وهو وصف فعلى تأثيره حاصل فى السموات والأرض وما فيها لا وصف ذاتى كالعلم والحياة ،

وأثبتنا أن هذا هو الذى يصح أن ينسب لرب العالمين دون الجلوس والاستقرار على العرش الذى ينبئ عليه جملة استحالات عقلية ولغوية فضلا عن استلزام التناقض بين آيات الاستواء وغيرها . وبينها وبين صفات الجلا والكمال الإلهية وأخصها الفناء المطلق عن كل ما سواه فمهما فرض فى الاستقرار من نفي الكيفية فهو استقرار حاصل بعد أن لم يكن ، وهذا وحده كاف لاستحالة اتصاف رب العزة والكبرياء والغنى المطلق به - فضلا عن الأدلة العقلية السابق ذكرها فى تلك المقالة . ولزيادة تأكيد استحالاته على الله تعالى نورد الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار على العرش والأدلة الكونية فنقول الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار ثلاث وهى :
أولا : قال الله تعالى فى سورة الحديد : ؟
هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ؟ .
فإذا فهم من الاستواء والمعية ظاهريهما الذى هو الظرفية المكانية لزم التناقض لأن

الاستقرار على العرش يمنع المعية المكانية مع أهل الأرض ، والتناقض فى كلامه تعالى محال ، ولزم اتصاف القديم جل وعلا بصفات الحوادث وهى المعية المكانية وما يتبعها وهو محال .

فإن قيل : المقصود من المعية لازمها وهو (العلم) بقصد التخلص من مماثلة الحوادث

فالجواب : كذلك المقصود من الاستواء لازمه وهو تدبير المملكة الإلهية لأن الموجب فى الاستواء والمعية لازمها وهو (العلم) بقصد التخلص من ممثلة الحوادث .

وفضلا عن ذلك فإن الموجبات لهم الاستواء بالتدبير أكثر من موجبات فهم المعية بلازمها كما سيأتى بيانه مناسب لمعنى التدبير للملكة ومرتبطة به فى المعنى بخلاف الاستقرار الذى لا يتوقف عليه التدبير .

ب- كونه تعالى معنا بعلمه وصفاته كما يليق بتقديسه ، وكونه بصيرا بأعمالنا . كل هذا يدل على المراقبة والمراقبة تقتضى الاجراءات والتصرفات التى أرادها تعالى

بكل مخلوق وهذا كله يدخل ضمن التدبير بخلاف الاستقرار .

ثانيا : قال الله تعالى فى سورة (ق) ؟
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ؟ ، وفى
سورة الواقعة : ؟ ونحن أقرب إليه منكم
ولكن لا تبصرون ؟ .

فلو فهم الاستواء على العرش بمعنى
الاستقرار المكانى لزم التناقض مه هذه
الايات ، والتناقض فى كلام الله تعالى
محال .

فإن قيل : إن الاستقرار هو بالأمر والحكم
والتصرف رجع الأمر إلى معنى تدبير
المملكة الذى أشرنا إليه .

رابعا : قال الله تعالى فى سورة الأنعام : ؟
وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم
سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ؟ فلو
فهم الاستواء بمعنى الاستقرار للزم
التناقض مه هذه الآية الشريفة والتناقض
فى كلام الله تعالى محال .

خامسا : قال الله تعالى : ؟ ويحمل رعش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية ؟ .

فلو كان تعالى مستقرا على العرش لكان
محمولا بالملائكة المحمولين بقدرته ،
ولكانوا أقوى وأولى بتدبير الملك ، ولكان

مفتقرا لمن يحمله ، وكل هذا من صفات
الحوادث الفقراء العجزة ، ولكنه تعالى
قديم غنى عما سواه ، قادر لا نهاية لقدرته

أما الأدلة الكونية فهي :
أولا : بما أن الأرض كروية والسماوات
محيطة بها والعرش فوق السماوات ، فلو
كان الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار
المكانى لزم اتصافه تعالى بما لا يليق
بعلوه ورفعة شأنه على خلقه ولزم التغير
فى صفاته تعالى وكل هذا محال للأدلة
الآتية :

أ- أن أهل الأرض يفهمون أن الله تعالى
فوقهم على فرض أنه تعالى مستقر على
العرش ، ولكن إذا درأت الأرض نصف يوم
وجاء الليل انعكس الأمر ، فيفهمون أن رب
العزة تعالى تحتهم وهو محال من وجهين :
ارتفاع المخلوق على الخالق جل وعلا ،
وتغير صفات الخالق سبحانه وما أدى إلى
المحال فهو محال .

ب- إن أهل الأرض فى القسم المقابل
يفهمون أن رب العزة تعالى ليس فوقهم
بل تحتهم وهذا محال لأنه لا يصح أن

الخالق تعالى فوق قوم وتحت آخرين .
فإذا درات الأرض نصف يوم انقلب حال
هؤلاء فصاروا يفهمون أن رب العزة تعالى
فوقهم بعد أن كان في نظرهم تحتهم
والتغير في صفات القديم تعالى محال .
ثانيا : أن الاستقرار المكاني على العرش
ضروري لملوك الأرض لأنه يتوقف عليه
الأعتراف بتقلدهم الملك والخضوع
لأوامرهم وأحكامهم .

أما ملكل الملوك والممالك فلا يتوقف
ملكه على هذا فإنمه تعالى ملك قبل أن
يخلق العرش وما حواه من السموات
والأرض ، كما انه تعالى قهر عباده على
تنفيذ ما أراد ، فكلهم مسخرون بقدرته
طوعا وكرها عرفوا أنه تعالى ملكهم أو لم
يعرفوا ، فنسبة الجلوس والاستقرار على
العرش إليه تعالى محال لأن فيه تشبيه
بملوك الأرض وإيهام أن الخضوع إرادته
يتوقف على هذا الاستقرار وكل هذا محال

ثالثا : لو كان الله تعالى مستقرا على
العرش لتخيل الفكر مكانا أعلى من
العرش بآلاف الأميال ، لجاز عقلا أن يرتفع
إليه تعالى إلى ذلك المكان الأعلى ، فعدم

ارتفاعه إليه يحتاج إلى مرجح لأنه لا ترجيح
بلا مرجح ، والاحتياج إلى المرجح من
صفات الحوادث ولكنه تعالى قديم .
رابعا : لو كان تعالى مستقرا على العرش
لاقتضى الحال أحد ثلاثة أمور : إما أن
يكون تعالى مساويا للعرش أو زائدا عليه ،
أو ناقصا عنه ، وكل هذا تحديد وتقييد وهما
من صفات الحوادث ولكنه تعالى قديم ،
وحيث أن فهم الاستواء على العرش بمعنى
الاستقرار قد أدى إلى هذه المحالات فهو
محال .

فإن قيل : فما حكمة وجود العرش وما
حكمة الإخبار بأنه تعالى استوى عليه ، وما
سبب توجه الضمائر إلى العرش ؟
فالجواب : أن حكمة وجوده يعلمها الله
تعالى ولسنا مكلفين بالبحث عنها ، ولكن
يمكن فهم بعض الحكم وهي :
إنه تصدر منه الأوامر والأحكام إلى الملائكة
لتنفذها في العوالم .
أنه تعالى أخبر بأنه خلق السموات والأرض
ثم استوى على العرش يدبر الأمر . وهذا
هو سبب اتجاه السائلين بضمائرهم
وأفكارهم للعرش انتظارا لتحقيق مسألتهم

وإجابة ملتمسهم من ربهم سبحانه وتعالى
لأنه تعالى فوق العرش - كما أن المصلى
يتجه بوجهه للقبلة فى الصلاة ، وليس الله
تعالى فى القبلة ونؤيد ذلك بمثال من
أنفسنا .

فإذا ذكر الملك فإن الفكر يتجه لقصره
الذى هو محل حكمه مه أن الملك قد يكون
فى أوروبا ، ولكن هذه عادة الخيال لا
العقل ، ولا يتير للعبد ترك هذه العادة حتى
يترقى عقله فى المعرفة بالله تعالى
وتتمكن العقائد من قلبه فتصير كأنها
مشهودة له على الدوام ، فعند ذلك يتجه
لربه تعالى بقلبه مع كمال التقديس
والتعظيم وهذا هو التوجه الحقيقى لله
تعالى بالقلب .

أما التوجه بالخيال فليس حقيقيا لأن الخيال
لا يدرك الحقائق لأن إدراكه معلول
بالقياس على ما تدركه الحواس ،
والحواس لا قدم لها فى غدراك الصفات
الآلهية ، فالخيال أعجز منها فى ذلك
والمخطئ فى فهم الاستواء بمعنى
الاستقرار جعل نفسه محكوما بحواسه
وخياله كمن راى بالسراب فظنه ماء طبقا
لحال عينه وليس كذلك ، أو من ركب

القطار فظن أن الأرض تجرى من تحته
وليس كذلك .

فالعاقل لا يقبل أن يكون عقله تحت حكم
حواسه بل يجب عليه أن ينتفع بعقله
ويتصرف بذوقه فى معانى القرآن العظيم
 ويفهمها بما يتفق مع بلاغته ، ومع التقديس
الإلهى ولا يكون كمن جاء لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه خيط أبيض
وخيط أسود ويسأله عن الوقت الذى يمكن
فيه الامتناع عن الأكل ليلا مع أنهما يمكن
تمييزهما من بعضهما طول مدة الليل
فأجابه صلى الله عليه وسلم بما معناه :
(ليس هذا يا عريض القفا إنما المقصود هو
تبيين النور من الظلام فى مطلع الفجر) .
فنسأل الله تعالى أن يلهم عقولنا وقلوبنا
وبصائرنا معرفة الحق والتمسك به على
الدوام بحق فضله وإحسانه ورحمته
وإكرامه لرسوله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وأهل بيته ومشايخنا أجمعين .
مغالطات القصيمى (1) . !

(1) السنه 8 ، العدد 23 سنه 1358 =
1939 . وعبد الله القصيمى من غلاة

المجسمة ومتطرفى الوهابية ، وهو صاحب كتاب " القول الفصل بين الوهابية وخصومهم " و " الصراع بين الاسلام والوثنية " . وقد هلك القصيمي من قريب بعد ما جاهر بإلحاده ، وكتب كتابه : " هذه هى الأغلال " ؟ ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ومن الضلال بعد الهداية (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه إنك أنت الوهاب) .

إن هذه الثثرة الفارغة ، والجدل العقيم من القصيمي وإمامه الداعي إلى نحلتهم فى مصر (الفقى) لا يمكن أن تنتهى عند حد ، أو تقف عند غاية ، ونحن نجزم بأنهم - وقد نصبوا أنفسهم للدعاية إلى هذه العقيدة المارقة عقيدة "التجسيم" - يستحيل عليهم أن يرجعوا إلى الحق ما دام رائدهم أن ينشروا على الناس باطلهم ، ويسمموا جو مصر الصافى بسموم هذه الاضاليل والأباطيل ، مصر كنانة الله فى أرضه التى طهرها الله تعالى من رجس العقائد الزائفة ، والنحل البائدة ، والتى لا يمكن أن تعثر فيها بعد طول الفحص والتفتيش على نحلة من النحل التى تن

من وجودها الأمم الأخرى بين ظهرانيها
كالإمامية والإسماعيلية والقاديانية والوهابية
، مصر التي صفت عقيدة أهلها كصفاء
سمائها ، والتي قنعت في أصول الدين
بعقيدة أهل الحق من الماتريدية والأشاعرة
، وفي فروع الدين بمذاهب الأئمة
المتبوعين وأصحابهم رضى الله عنهم
أجمعين ، يريد اليوم الفقى والقصيمي
وزعانف من الأدعياء أن ينقلوها من تبعيتها
لهؤلاء الأئمة ، وانضوائها تحت راية جمهور
العلماء ، إلى الائتمام به وبشيئته
والانضمام لحزبه ، والانضواء تحت رايته
لتكثير سواد أتباعه من الباعه والخدم .
يريد أن نترك ما أجمع عليه أهل الحق من
تنزيه الله تعالى إلى نحلته الجديدة التي
يثبت فيها لله سبحانه الجهة والمكان
والحلول والاستقرار ، ويثبت له الجوارح
من الوجه واليد والأصابع واللهوات
والأضراس إلخ .

يريد أن ينقلنا من عقيدة التقديس ، وتنزيه
الله تعالى عن صفات الحوادث إلى مثل ما
جاء في كتاب عثمان بن سعيد الدارمي
الذي طبع أخيراً " بتحقيق وعلى نفقه
الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

" من قوله مثلاً (ص 4) : " وكيف يهتدى (بشر) إلى التوحيد ؟ وهو لا يعرف مكان واحده ، فلا هو - بزعمه - فى الدنيا والآخرة بواجده " .

وكتب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بذيّل الصحيفة تعليقاً على قوله " مكان واحد " هه العبارة بنصها : " كان خيراً لو قال : أين ، ولم يقل : مكان " .

كان رئيس جماعة أنصار السنة ومرتضى وأتباعه أيضاً يعتقدون بصرائح عقائدهم أن لله مكاناً يحل فيه ويستقر عليه ، وأن له أينية وجهة يشار إليها بالإشارة الحسية إلا أنه يرى أن إثبات الجهة والأينية خير وأولى من إثبات المكان لله سبحانه كأن إثبات المكان جائز فى نظره .

وتراه يقرر فى الدرس على مستمعيه من العامة طبعاً ، أن الله تعالى فى جهة فوق ، وأنه ينزل بذاته إلى سماء الدنيا ، وإذا لم يستطع العامى أن يهضم بعقله هذا الكلام ، كان فى استطاعة الفقى وهو عالم ؛ أن يقنع تلميذه وهو عامى جاهل بصحة هذه العقيدة وأمثالها .

وهذا الأستاذ الشيخ عبد العزيز المسلاوى

من جماعة الفقى زادوا فى مقاله المنشور
فى صحيفتهم كلمة (مستقر) فجاءت
العبارة فى المقال المذكور هكذا " وأنه
(مستقر) علي عرشه " وقد طلب إليهم
مراراً وتكراراً أن ينبهوا فى مجلتهم التى
يرأس تحريرها رئيس الجماعة المذكور
عليان زيادة (مستقر) من عندياتهم ، وأنه
لا يقرها ولا يعتقدها فأبوا ، ولم يصححوا
هذه الزيادة التى ألصقوها بالأستاذ
المسلاوي إلى الآن رغم أنه .
والعجب أن القصيمي لا يسأل أصحابه
الجواب عن هذه البلايا والطوام ، ويسأل
العلماء الذين تعرضوا للكتابة فى هذا
الموضوع على صفحات مجله الاسلام
أسئله حشوها السفسطه والمغالطات ،
وكان عليه أن يترواى هو وأصحابه خجلاً بعد
ما ظهر من فضائهم ومخازيهم ما ظهر ،
وعلمه الخاص والعام وانا مع وثوقى بأنه لا
ينخدع بأقوال القصيمي وأسئلته هذه إلا غر
جاهل ، أو مكابر مخدوع ، فأنا كاشف لك
عما يستره تحتها من سفسفاط ومغالطات
فهو يقول : (ص 22 ع 26) من مجلتهم
ما نصه :

" لأى دليل أنكرتم علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، أن قلتم بدليل من الكتاب والسنه قلنا : - لكم هل تستطيعون أن ترون آيه واحده أو حديثا واحدا قيل فيه : لا تعتقدوا أن الله مستو على عرشه ، أو قيل فيه يجب عليكم أن تؤولوا هذه النصوص ، أن تصرفوها عما يبدوا منها ، لان اعتقاده كفر وضلال ! " أقول أن هذا القول مواربات ومغالطات هى :

اننا لا نكر علو الله المعنوى ، أما العلو المكانى الخاص بالاجسام ، والمسافات فهذا هو الذى ننكره تنزيها لله عنه لانه من صفات المخلوقات ولم يرد فى القرآن ولا فى الحديث ما يثبت العلو المكانى ، والاستواء الحقيقى ، وهذا هو محل النزاع بيننا وبينكم ، فأن كان القصيمى يعلم نسا صريحا أو دليلا صحيحا يثبت مدعاه فليخبرنا به وانا نتحدها بذلك .

أن العلو المعنوى الذى نؤمن به هو المفهوم من قوله تعالى ؟ وهو العلى العظيم ؟ أى علو العظمة فهو معنوى ، والمفهوم من قوله تعالى ؟ أنه على حكيم ؟ أى علو حكمه وهو معنوى ، ومن

قوله تعالى : ؟ وهو القاهر فوق عباده؟ أى فوقه قهر ، قهر معنوى .

ج- اننا نؤمن بالمعنى الحقيقى المتمشى مع التنزيه لجملة : ؟ ثم استوى على العرش ؟ المذكورة ضمن الايات العظيمة السبعة التى منها : قوله تعالى : ؟ أن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (54) ؟ وذلك المعنى هو المطابق لسياق الايه ، ولقوله تعالى : ؟ ليس كمثله شئ ؟ وهو الذى يفهم منها وهو مندرجه ضمن الايه العظيمة ، مع ملاحظة القيود الملازمة لها وهى :

ان (استوى) فعل ماضى معطوف عل بالفعل الماضى (خلق) بحرف (ثم) الدال على الترتيب وحيث ان خلق فعل حادث فاستوى كذلك فعل حادث فإذن لا يكون (استوى) صفه ذاتيه قائمة بالله تعالى ، لان القديم لا يوصف بالحوادث

ان (استوى) ملازماً دائماً للفعل (خلق)
فى جميع الايات التى ذكر فيها فلا بد ان
يكون هناك ارتباط بين معنيهما ومناسبه
تامه بينهما .

وحيث ان خلق السموات والأرض تمجيد
للقدرة الإلهية ، وإغشاء الليل والنهار ،
وتسخير الشمس والقمر والنجوم تمجيد
للإرادة الإلهية والعلم ، فما توسط بينهما
وهو ؟ ثم استوى على العرش ؟ لابد ان
يكون مناسباً للتمجيد المذكورين .
إن الجملة (استوى على العرش) يعبر
بمثلها فى اللغة كناية عن الملك ،
والتصرف ، فيقال : (استوى فلان على
سرير الملك) كمنية عن التملك وإن لم
يكن هناك سرير - انظر المصباح المنير
وغيره - وإذن يوجد فى اللغة ما يسوغ
فهمها بمعنى الكناية عن تصرفه تعالى فى
السموات وتسخيرها بعد أن خلقها ، وهو
دلالة على اختصاصه تعالى بالخلق
والتسخير .

أما فعل (استوى) فلا يعبر به صراحة عن
استقرار إلا فى الجمادات ، والإنسان
فاستقرار الجمادات مفهوم من قوله تعالى
: ؟ واستوت على الجودى ؟ الذى لا يفهم

منه إلا استقرار جسم السفينة على جسم الجبل ، وسكونها عليه بعد أن كانت تجرى فى موج كالجبال ، ويستحيل أن يفهم منه التصرف والتسخير .

واستقرار الإنسان مفهوم من قوله تعالى :
؟ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك؟
وهو لا يمكن أن يفهم منه إلا استقرار جسم نوح عليه السلام والمؤمنين الذين معه على جسم السفينة ، بعد أن لم يكونوا مستقرين عليها ، وأن هذا الاستقرار سيزول بنزولهم منها بعد استقرارها على جبل الجودى .

وهناك أيضاً يستحيل أن يفهم من (استوى) ما يصح أن يفهم من آيات الاستواء على العرش وكذلك يفهم استقرار الإنسان من قوله تعالى : ؟ لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه؟ فإنه لا يفهم منها إلا استقرار أجسام الناس على ظهور الدواب التى تتحرك بهم ، وتنقلهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، فليس هذا المعنى هو ما يفهم فى حق الله تعالى من التصرف فى سموات والأرض التى خلقها جل شأنه .

وإن فمعنى (استوى) فى الآية الأولى غير معناها فى الآية الثانية والثالثة والرابعة ، ومعناها فى الثالثة مخالف لمعناها فى الأولى ، والثانية ، والرابعة :

وبناء على هذا فمن انتزع جملة ؟ ثم استوى على العرش ؟ من الآيات التى اشتملت عليها وفهمها وحدها ضل سواء السبيل ، وبعد عن الحقيقة ، لأنه أهمل القيود والقرائن المبينة لمعناها الحقيقى ، فيكون كمن قال : ؟ فويل للمصلين ؟ وقطع هذه الجملة عما بعدها أو قال : ؟ لا تقربوا الصلاة ؟ وقطعها عما بعدها أيضاً ، فإنه لا شك يخطئ كثيراً ، ويبعد عن الصواب بعد المشرقين .

وفى القرآن الكريم كثير من الأساليب التى لا يصح أن تفسر جملها تفسيراً لفظياً ، بل لابد من ملاحظة السياق والقرائن والذوق العربى فيها كقوله تعالى فى سورة الإسراء : ؟ وكل إنسان ألزمته طئره فى عنقه ؟ فلو فسر الطائر بما ينصرف إليه ظاهر اللفظ لساء الفهم وانطمست الحقائق .

وإذا كان لا يصح فهم هذه الكلمات منفصلة عما قارنها واتصل بها ، فكذلك لا يجوز أن

تفهم جملة : ؟ ثم استوى على العرش ؟
وحدها ، دون أن تنتظر فيما يحف بها من
القرائن ومن أراد أن يكون سلفياً فعليه أن
يلزم نفسه :

أولاً : ألا يغير فى كلمات الآية العظيمة
باشتقاق اسم الفاعل (مستو) أو المصدر
(استواء) فكلاهما صفة ذاتية لا علاقة لها
بالزمان ، فضلاً عن أن معناها مخالف
للفعل الماضى (استوى) الدال على أنه
فعل حادث مثل (خلق) .

ثانياً : أن يلاحظ الملازمة بين (خلق) و
(ثم استوى) فى جميع آيات الاستواء .
ثالثاً : أن يلاحظ ترتيب (ثم استوى) على
(العرش) .

رابعاً : أن يلاحظ تقديسه تعالى عن
الاستواء المكانى على جسم العرش فإنه
يستلزم التحديد ، ويوهم الاستراحة من
التعب بعد خلق السموات والأرض .
خامساً أن يلاحظ أوفق معنى من معانى
(استوى) التى تليق بالله تعالى فى الايات
التي ذكرت فيها جملة ؟ ثم استوى على
العرش ؟ فلا يفهم منها ما يفهم من استواء
السفينة على الجودى ، أو استواء نوح عليه

السلام على السفينة إلخ ، ولو كانت الآية مسوقة لإثبات مجرد ظاهر الاستواء لقال تعالى : (إن ربكم الله الذى استوى على العرش) وبما أن هذا لم يرد فى أى آية من آيات لا ذكر الحكيم ، فقد دل هذا على أنه ليس المقصود من آيات الاستواء ما يفهم من ظاهر اللفظ كالاستقرار والجلوس ، ومن لم يراع ما يتصل بهذا اللفظ لم يكن سلفياً .

من ذلك نعلم أن ما ورد فى الكتاب العزيز عن العلو ، والاستواء مخالف لما ادعاه القصيمى ، وأن دعواه بأن الكتاب والسنة قد نطقا بها هى دعوى باطلة ومغلطة ظاهرة .

د- لا يلزم من عدم ورود النهى بهذا اللفظ وهو : (لا تعتقدوا أن الله مستو على عرشه) أنه يجوز اعتقاده ، كما لا يلزم من عدم ورود نهى صريح عن اعتقاده أن الله تعالى جسم ، أو متحيز ، أو محدود أنه يجوز اعتقاده كذلك ، فهذا ممنوع بدلالة الآية المحكمة وهو قوله تعالى : ؟ ليس كمثله شئ؟ وبدلالة العقل أيضاً ، فضلاً عن ذلك فإننا لا يصح أن نعتقد إلا ما ورد الإذن به فى القرآن الكريم ، وكل عقيدة لم ترد

فى القرآن ، أو يوجبها العقل بالدليل
المنطقى تكون اختراعاً وابتداعاً .

هـ- كما أنه لا يوجد آية فيها : (يجب عليكم
أن تؤولوا هذه النصوص وأن تصرفوها عما
يبدو منها) ، فكذلك لا توجد آية ذكر فيها :
ولا تؤولوا هذه النصوص المتشابهة ولا
تصرفوها عن ظاهرها إذا كان ظاهرها
مخالفاً للآية المحكمة وهى قوله تعالى ؟
ليس كمثله شئ؟ أو أدى ظاهرها إلى إبهام
وجود التناقض فى كلام الله تعالى بين
الآيات المتشابهات ، والمحكمات .

و- إذا كان التأويل لهذه الحكمة الضرورية
خطأ فلماذا جرى (القصيمى والمسلاوى)
مع تأويل ابن القيم والذهبى ، وغيرهم
المعية بالعلم فى قوله تعالى : ؟ هو الذى
خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما
تعملون بصير؟

فإن كان تأويلها بسبب أن ظاهر المعية
يوهم التحديد ، فكذلك ظاهر الاستواء على
العرش يوهم التحديد ، فكما أولوا المعية

كان يجب عليهم تأويل الاستواء لأن كلا
منهما يقتضى التحيز والتحديد ، وإذا كان
ظاهر الاستواء لا يستلزم التحديد فى رأيهم
فظاهر المعية أيضاً لا يستلزم التحديد على
رأيهم .

وهنا نسأل القصيمى : (لماذا قبلت تأويل
المعية) ؟ أكونها ظرفية وكون ظاهرها
يوهم التحديد ، والمكان أم لأجل التخلص
من التناقض الذى توهّمته فى الآية
الشريفة ، لأنك تعتقد كجماعتك أن
الاستواء الظاهر لا يكون إلا مكانياً ،
والمعية لا تكون إلا مكانية ، وأن وجود ذاته
تعالى معنا فى الأرض مناقض لوجود ذاته
تعالى فوق العرش ، لذلك أولت المعية
بالعلم ، وتركت الاستواء بغير تأويل ،
فوقعت فى التشبيه ولو أولتهما معاً لما
وقعت فى ذلك ، فكما أن ظاهر المعية لا
يعقل بغير التحديد والتحيز فى الأمكنة ،
فنسة ظاهر الاستواء على العرش لا يعقل
بغير التحديد والتحيز فى الأمكنة فهو تشبيه
أيضاً ومحال على الله تعالى ، فكما خالفت
مبدأك ، وأولت المعية بأنها معنوية كناية
عن العلم فراراً من التشبيه يجب أن

تؤوول الاستواء بأنه كناية عن الملك
والتصريف فراراً من التشبيه ، وإلا كنت
كمن يكيل بكيلين إذا يحل لنفسه ما يحرمه
على غيره ، ولا شك أنه لا يقول بهذا عاقل

2- مغالطات القصيمي

يقول القصيمي في (ص 45) من العدد
27 ما نصه ك

"هذا إلحاد صريح ، بعد هذا نقول لكم :
اعلموا أن ما تدعون إليه من إنكار الاستواء
والعلو ، هو إلحاد صريح ، وإنكار لوجود الله
لا ريب فيه ، ولكن عباراتكم منافقة جاهلة
مخادعة ، وإلا فلا فرق بين قولكم ، إن
للعالم رباً ، وخالقاً ، موصوفاً بالوجود ،
والحياة ، والقدرة ، والخلق ، ومع هذا ليس
بقريب من العالم ، ولا بعيد ، ولا بمنصل به
، ولا منفصل عنه ، ولا حال فيه ، ولا بائن
عنه ، ولا فوق ، ولا تحت ، ولا يميناً ، ولا
شمالاً ، ولا قدماً ، ولا خلفاً ، ولا ولا
..... نعم ولا فرق بين هذه المقالة وبين
قول الملحدين الصرحاء إنه لا رب لهذا
العالم ، ولا خالق له ، فهذا ، كهذا ،
والاختلاف راجع إلى اللفظ لا إلى المعنى
بلا شك فإن كنتم تجدون فرقاً فاذكروه "

لى على هذا القول ملاحظتان :

الأولى : أن هذه مغالطة منمقه ، مزخرفة ، يظهر للقارئ أن عليها طلاوة الحجة والبرهان القاطع ، ولكن من يتأمل فيها يجدها جوفاء خرقاء وأنها إن دلت على شئ فلا تدل إلا على الجهل بالمحسوس والمشاهد فى العالم وفى نفس الواقع ، فضلا عما فيها من فحش القول وهجر الكلام المتجولين فى قوله : " عباراتكم منافقة إلخ " .

الثانية : أن القصيمى يكذب نفسه بنفسه فى قوله (ص 27) من العدد 26 وإليك البيان :

إثبات الملاحظة الأولى : إنه يوجد فى العالم أمثلة كثيرة من رفع المتضادات عن الشئ إذا انعدم السبب المسوغ لاتصافه بشئ من هذه المتضادات .

فالحىوان : لا هو عالم ، ولا هو جاهل ؛ لأنه فاقد للعقل المسوغ لاتصافه بأحدهما ، ولا هو ذكى ولا هو بليد ؛ لأنه فاقد للعقل المسوغ لاتصافه بأحدهما ، ولا هو غنى ولا هو فقير لأنه فاقد للملك المسوغ لاتصافه بأحدهما .

والجماد : لا هو جبور ولا هو مختار لأنه
فاقد للحياة المسوغة للاتصاف بأحدهما ،
ولا هو راض ولا غضبان لأنه فاقد للحياة
المسوغة للاتصاف بأحدهما .
والهواء : لا هو أبيض ولا هو أسود ، لأنه
فاقد للجسم الكثيف القابل للتلون بالألوان
والمسوغ لاتصافه بأحدهما .
والجماد أيضاً : لا هو متلذذ ، ولا هو متألم ،
لأنه فاقد للحياة المسوغة لاتصافه
بأحدهما ، ولا هو متكلم ولا هو قوى ولا هو
ضعيف ، لأنه فاقد للحياة المسوغة لاتصافه
بأحدهما .

والصدق : لا هو كبير الحجم ، ولا هو
صغيره ، لأنه فاقد للحيز المسوغ لاتصافه
بأحدهما .

والحلم : لا هو حار ، ولا هو بارد ، لأنه فاقد
للجسمية المسوغة لاتصافه بأحدهما .
والإرادة : لا هى ثقيلة وزناً ، ولا هى
خفيفة ، لأنها فاقدة للجسمية المسوغة
لاتصافها بأحدهما ، ولا لاتصافها بأحدهما .
والرضا : لا هو سريع الحركة ولا هو بطئ
الحركة ، لأنه فاقد للحيز الذى تتعلق به
الحركة والسكون .
والفقير : لا هو كريم ، ولا هو بخيل ، لأنه

فاقد للمال المسوغ لاتصافه بأحدهما .

ولو أردنا حصر هذه الأمثلة لعجزنا عن الإحاطة بها لكثرتها ، فكيف غابت هذه المعلومات البديهية عن عقل القصيمي وهذه الجماعة حتى تجاسر على القول باستحالة وجود المتضادات فى شئ واحد ، وبنى عليه استحالة اتصاف الله تعالى بالقرب من العالم والبعد عنه ، وبالاتصال بالعالم ، والانفصال عنه إلى آخر دعواه ؟ ولو كان يؤمن بأقواله المنشورة بالعدد 27 وأقوال " المسلاوى " بالعدد الخامس والعدد الحادى عشر ، وهى استحالة التحديد على الله تعالى ، لعلم أن التحيز مستحيل على الله تعالى ، وإذا استحال الحيز استحال القرب من العالم والبعد عنه ، واستحال الاتصال بالعالم والانفصال عنه ، واستحال الحلول فيه ، أى الاتصال به ، والبينونة عنه أى الانفصال منه . ولايضاح ذلك نقول وبالله تعالى التوفيق والإعانة :

إن القرب بين الشيئين هو القرب بين حيزيهما ، والبعد بينهما هو البعد بين حيزيهما ، فإذا انعدم الحيز انعدم القرب

والبعد تبعاً لذلك .
وبما أن الله تعالى يستحيل عليها الحيز ،
والتحيز ، فيستحيل أن يكون قريباً من
العالم قرب مسافة ، كما يستحيل أن يكون
بعيداً عنه بعد مسافة وهو المطلوب .
وكذلك الاتصال بين الشيئين هو مجاورة
حيزيهما ، والانفصال هو انفصال حيزيهما ،
وبعدهما عن بعضهما ، فإذا انعدم حيزهما ،
أو حيز أحدهما ، انعدم الاتصال والانفصال
تبعاً لذلك .

وبما أن الله تعالى يستحيل عليه الحيز
والتحيز ، فيستحيل اتصاله تعالى بالعالم ،
وانفصاله عنه ، وهو المطلوب .
وبالقياس على استحالة الاتصال والانفصال
يستدل على استحالة الحلول داخل العالم ،
والبينونة عنه لأنهما في معنى الاتصال
والانفصال .

وإذن فلا يلزم أن يكون الله تعالى كما
يقول القصيمي معدوماً كما لا يلزم من من
تنزيهه تعالى عن هذه الأضداد ألا يكون
موجوداً ، ولو علم القصيمي هذا لاستحيا
من أن يتهم من يعلمون هذه البراهين
بالإلحاد .

إثبات الملاحظة الثانية : أما أن القصيمي يكذب نفسه بنفسه ، فلأنه يقول (ص 27) من العدد 26 ما نصه :

ثم نسألكم رابعاً ونقول : ألستم تؤمنون بأن الله سوف يرى فى الآخرة ؟ إن جوابكم لابد نعم ، وعلى هذا نقول لكم : إذا عقلتم ان الله تعالى يرى بالابصار ولا يلزمه أن يكون فى جهة من الجهات ، ولا أن يكون مقابلاً للرأى ، ولا فى نحو من أنحائه ولا جهة من جهاته ، أى إذا آمنتم بالرؤية ، وجمعتم بين القول بها والقول بالتنزيه ، واعتقدتم أنفسكم منزهين مع قولكم بالرؤية البصرية فكيف لا تستطيعون أت تفهموا أيضاً أن يكون مستوياً على البصرية فكيف لا تستطيعون أن تفهموا أيضاً أن يكون مستوياً على عرشه ، عالياً على خلقه ، ثم لا يلزم ذلك تشبيهه ، ولا تجسيمه ، بل ولا أن يكون فى جهة من الجهات ، ولا نحسب أن إنساناً يعطى الإنصاف عقله وعقيدته ثم يشك فى أن الأمرين سواء .

فقد أعترف القصيمي نفسه بأن الله تعالى ليس فى جهة من جهات الرأى ، فلا فوق ، ولا تحت ، ولا يمين ، ولا شمال ، ولا

أمام ، ولا خلف ، ولا قريب ولا بعيد ، لأن
القرب والبعد مرتبطان بالجهات أيضاً ،
وإذن لا معنى للقول بالاستواء المكانى
على العرش أو العلو المكانى ، وليس
أصح من هذا تكذيباً للقصيمى فى
اعتراضه المذكور بصفحه 45 بالعدد 27 .
أما الإجابة عل بهذا السؤال فهى ما نقرره
فيما يلى :

إننا لا نستطيع أن نجمع بين الاستواء
المكانى على العرش ، وبين استحالة
الجهات على الله تعالى إلا إذا تركنا
عقولنا ، وتكلمنا بغير عقل ، فإن العرش
فوقنا ، والمستوى عليه هو فى جهة فوق
بالضرورة ، وهذا إثبات للجهة ولا يمكن
الجمع بين هذين الضدين مستحيل .

أما الرؤية البصرية فباعتراف القصيمى أنها
لا تتوقف على الجهة ، ولا المقابلة فهى
ممكنة ونحن نؤمن بها ، لأن الله سبحانه
وتعالى سيخلق فى أبصارنا قوة خارقة
للعادة يمكننا بها أن نرى من ليس له مكان
ولا جهة ولا حيز فإن الرؤية نوع انكشاف
يحصل عن الرأى المخلوق بقوة الله تعالى .

أما الاستواء المكانى فهو عين الجهة ،
والتحديد ، والتحيز ، وكل هذه الصفات
مستحيلة على الله تعالى باعتراف
القصيمى والمسلوى ما توضح فهو إذن
مستحيل .

فشتان بين الرؤية التى لا تستلزم الجهة ،
والتحيز ، وبين الاستواء المكانى على
العرش الذى لا يعقل إلا فى جهة فوق .
أفهل يعقل مساواة الجهة بضدها وهو عدم
الجهة ؟ ؟ فمال هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثاً ؟ ؟

فإن قيل : إذا كان الله تعالى ليس فى
مكان فوق العرش أو فى السماء
فلماذا تتجه ضمائرنا إلى جهة فوق عند
التضرع إلى الله تعالى ؟

فالجواب هو : أن هذا حكم الخيال ، فإنه
يجسم ما لا يقبل التجسيم ، ويمثل
المعنويات بالحسيات عند التعبير . لذلك
يربك التقوى فى المنام ثوباً فضفاضاً كما
راه سيدنا عمر رضى الله عنه وأولها له
صلى الله عليه وسلم بالتقوى ، وهذا يدل
على أن الخيال يجسم المعانى ويجسم ما
لا يقبل التجسيم وهو البارى جل وعلا .
فيقال مثلاً : الرحمة فوق العدل ، مع أنهما

ليسا فى مكانين ، فقد استعيرت الفوقية
المكانية للرحمة للتعبير عن الفوقية
المعنوية ولولا هذا لما أمكن توصل هذا
المعنى إلى ذهن السامع .
ويقال : تحرك الركاب العالى ، مع أنه لا
يزال سائراً على الأرض ، ولكن أستعير
العلو المكانى للتعبير عن العلو المعنوى
ويقال إن فلاناً منزلته فى السماء السابعة
إشارة إلى ترقية المعنوى الظاهر مع أنه لا
يزال موجوداً بجسمه فى الأرض وهكذا .

فكذلك الخيال يشير إلى عظمة ربه جل
وعلا ، وكبريائه ، وعلوه المعنوى بالعلو
المكانى ، لأنه ليس فى استطاعته التعبير
عن المعنويات إلا بالحسيات ، وذلك لأن
إدراكه عالة على الحواس ، فما تعلق به
الحواس ، تعلق به الخيال ، وما لا تدركه
الحواس لا يتعلق به الخيال .
فاعين مثلاً تدرك الصور ، والألوان ، فبعد
زوال المرئيات من العين يتخيل صورتها
الخيال .
والأذن تسمع الأصوات الجميلة ، فبعد
زوالها يتخيل نغماتها الخيال .
واللسان يدرك حلاوة العسل مثلاً ، فبعد

زوالها من اللسان يتخيل لذاتها الخيال .
واليد تدرك لذة نعومة الأجسام ، فبعد
زوالها عن اليد يتخيل نعومتها الخيال ،
وهكذا . وحيث إن الحواس قد تخطئ في
إدراكها ، فكذلك الخيال يخطئ تبعاً لها ،
والعقل يصحح لهما الخطأ .
فالعين ترى السراب بالقيعة و الصحراء ماء
، والخيال يوافقها ولكن العقل يصحح لها
الخطأ ، فيحكم بأنه ليس هناك ماء .
والعين أيضاً ترى الشخص الواحد طويلاً في
القرب ، قصيراً في البعد ، والخيال يوافقها
ولكن العقل يصحح لها الخطأ . فيحكم بأن
الشخص على طول واحد لم يتغير في
حالتى القرب والبعد .
والأذن تسمع صدى الصوت فتظنه صوت
شخص آخر ، والخيال يوافقها ولكن العقل
يصحح لها الخطأ ، ويحكم بأنه صوت
المتكلم الأول لا صوت شخص آخر .
ولسان المريض يذوق السكر مرّاً ، مع أنه
حلو ، والخيال يوافق ولكن العقل يصحح
هذا الخطأ ، بأن المرارة أثر من آثار
إحساس المريض لا ذوق السكر . وراكب
القطار أو السفينة ، يراها ثابتتين والأرض
جارية بما عليها من أشجار وحيوان ، وبيوت

وجبال إلخ ، والخيال يوافق على ما رأى ،
ولكن العقل يصح له الخطأ ويحكم بأنه
هو وحده السائر بسير القطار أو السفينة ،
والأرض ثابتة بما عليها .

فكما أن إدراك الحواس لا يدل على أنه
مطابق للواقع ، فكذلك إدراك الخيال لا
يدل على المطابقة للواقع ، واتجاه الخيال
إلى جهة فوق عند التضرع لا يدل على أن
الله تعالى فى جهة فوق ، وإنما يتسعير
الخيال جهة فوق التى هى أشرف الجهات
لما يراه فيها من مظاهر العظمة والقهر ،
للإشارة إلى عظمة خالقه جل ولعا ، لأن
هذا هو كل ما يستطيعه للتعبير عن عظمتة
تعالى .

أما العقل فهو الذى يدرك الأمور على
حقيقتها فحكمه هو الصحيح لأنه مبنى على
الديل والبرهان ، وهو الذى يصح للخيال ،
والحواس خطأهما . فكما يصح خطأ
العين ، والأذن ، واللسان ، واليد ، فإنه
يصح أيضاً للخيال خطؤه عند التضرع .
فمع أن الخيال يمثل العظمة المعنوية لربه
جل وعلا بالفوقية المكانية ، فإنه لا يزال
العقل يحكم بأنه تعالى منزّه عن المكان ،

والجهة ، ويرشد الخيال إلى هذه الحقيقة .
فاتجاه الخيال والعقل يعظمان ربهما جل
وعلا كل بحسب استطاعته . ولكن تعظيم
الخيال بالفوقية المكانية مجازى ورمز إلى
الفوقية المعنوية ، وتعظيم العقل بالفوقية
المعنوية حقيقى وهو الذى عليه المعول ،
فإن العقل هو المصحح دائماً لأخطاء غيره
كما قدمنا ، وقد كلفنا الله بمقتضى العقل
فقال : ؟ إن فى ذلك لآيت لقوم يعقلون؟
وقال : ؟ لعلكم تعقلون؟ وقال : ؟ أفلم
يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها؟ .

ولو اتبع الإنسان حواسه لوقع فى كثير من
الأخطاء ، كمن يرى السراب ماء ، وكذلك
يكون حاله إذا اتبع خياله ، وإذان لا منجى
من الأخطاء إلا باتباع العقل ، وهو الذى
عليه مدار التكليف ، والمسؤولية ، فكما لا
تصدق حكم العين على السراب أنه ماء
وحكمها على الشخص الواحد بالطول
والقصر لبعده أو قربه ، وحكمها بتحريك
الأرض وما عليه بالنسبة لراكب القطار أو
السفينة مع ثبوت العكس ، وحكم الأذن
على صدى الصوت ، وحكم اللسان حال

المرض ، فكذلك يجب عليك عدم تصديق اتجاه الخيال للفوقية عند الدعاء والتضرع لأن اعتقاد أن الله تعالى منزّه عن المكان والجهة هو المطابق للعقل والكتاب والسنة ، وهو مقتضى الإيمان الصحيح رغماً عن مخالفته للخيال والحواس ، فإنه حكم العقل المبني على الدليل ، و البراهان ، والمطابق للقرآن العظيم . قال تعالى : ؟ ليس كمثله شيء ؟.

ولا يزال العبد متأثراً بحكم خياله في مبادئ الأمور ، والعقل يصحح له الخطأ حتى يتغلب حكم العقل على حكم الخيال ، فإذا صار ملازماً لحكم العقل اضمحل وجدانه الخيالي ، فلا يخيل ربه جل وعلا في الأمكنة والجهات ولا مشبهاً بصفات الحوادث ، بل يراه بعقله وقلبه متصفاً بصفات التقديس ، والكمال المطلق ، وعند ذلك يكون إيمانه قلبياً وجدانياً نذوقه بقلوبنا كإيمان الأنبياء ، والملائكة ، والكمال كم أوليائه .

نسأل الله أن يمن علينا بفيض من بحار علومهم حتى ترتوي به أرواحنا ، وحتى بصير إيماننا ذوقياً ، قوياً كاملاً مقروناً بمحض العبودية لله تعالى ، ومن الله

التوفيق وبه نتأيد ، وعليه وحده المعول .
3- مغالطات القصيمي
فى دفاعه عن المجسمة

يقول القصيمي (ص 23) من العدد 26
من مجلتهم ما نصه : (وأما إن قلتم : إن
دليلنا على نفى العلو والاستواء دليل عقلى
، قلنا لكم : وما هو هذا الدليل العقلى ؟ إن
قلتم / إننا لا نعرف استواء ، ولا علواً إلا
بجلوس ، ولا يجلس إلا الأجسام ولا تكون
الأجسام إلا مخلوقة حادثة . قلنا لكم : هذا
مثل أن يقال : لا يصح وصف الله بصفة
العلم مثلاً ، لأن العلم لا يكون إلا عرضاً ،
والعرض لا يكون إلا مفتقراً إلى غيره ، أى
إلى جوهر يقوم به ، ولا يفتقر إلا الحادث
المخلوق ، والجوهر لا يكون إلا جسماً أو
إلى ما يؤول إلى الجسم ، والأجسام ،
والجواهر ، والأعراض لا تكون إلا حادثة
مخلوقة) .

وهذا القول فيه عدة مغالطات هى :
أنه يفرض أن صفات الله تعالى أعراض
كأعراض الأجسام فالاستواء المكانى ،
والعلم والقدرة ونحو ذلك ، فى نظره سواء
من حيث إنها كلها أعراض حادثة .

أنه يجعل هذا الفرض أساساً لاستشكاله
على القائلين بالتنزيه عن الاستواء المكانى
أن تنفوا أيضاً العلم وباقى الصفات .
أن فرضه هذا باطل ، فالاستشكال المبنى
عليه باطل ، ودليل البطلان أن صفات
العلم والقدرة والإرادة من الصفات
القديمة الواجبة لله تعالى وهى فى
المخلوق حادثة ، وفرق بين القديم
والحدث ، أما الاستواء المكانى فهو
مستحيل على الله تعالى كما يعلم ذلك من
الفرق بين حقيقة العرض وبين الصفات
الإلهية القديمة .

فالعرض هو ما يعرض بعد العدم ، ولا يقوم
إلا بالأجسام وجواهرها ، وهو إما حسى :
كالحركة العارضة بعد السكون ، ولاسكون
العارض بعد الحركة ، وكبر الحجم وصغره
والحيز العارض له فى حالى الكبر
والصغر ، والسواد العارض بعد البياض ،
والبياض العارض بعد السواد ، والحرارة
العارضة بعد البرودة ، والبرودة العارضة
بعد الحرارة ، والمرض العارض بعد
الصحة ، و الصحة العارضة بعد المرض ،
وثقل الوزن العارض بعد الخفة ، وخفة
الوزن العارضة بعد ثقله وهكذا .

وإما معنوى : كالعلم العارض للمخلوق بعد الجهل ، والجهل العارض له بعد العلم ، والحياة العراضة بعد الموت ، والموت العارض بعد الحياة ، والحلم العارض بعد الغضب ، والغضب العارض بعد الحلم ، وهكذا .

فكل هذه أعراض . أى : عارضة للأجسام بعد أن كانت معدومة ، وكلها أعراض حادثة ، دليل حدوثها المشاهدة ، والعيان . أما صفات الله تعالى : كالوجود ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة فهي قديمة واجبة لله تعالى ، بدليل حدوث الجواهر والأعراض ، إذا لا يوجد هذه الحوادث إلا إله قادر ، مريد ، عالم ، فأين تلك الأعراض الحادثة من هذه الصفات الإلهية الواجبة القديمة ؟ إن من تأمل فى الاستواء المكانى ، والعلو المكانى ، يجدهما مندرجين ضمن الأعراض ، لا ضمن الصفات الإلهية ، ولإيضاح ذلك نقول ، وبالله تعالى التوفيق والإعانة : لا يخفى أن الاستواء المكانى لا يعقل إلا بين جسمين : أحدهما مستو ، والآخر مستوى عليه قد اشتركا فى الحد الفاصل بينهما ، وعلى هذا ، فالاستواء لجسم على جسم هو ملاصقة حيز الجسم الأعلى لحيز

الجسم الأسفل ، وذلك كاستواء جسم الإنسان على الكرسي أو على ظهر الدابة . ولا يخفى أن العلو المكاني لا يعقل إلا بين جسمين : أحدهما أعلى من الآخر . غما ملاصقاً له ، أو فوقه بمسافة .

وعلى هذا ، فالعلو المكاني لجسم على جسم ، هو علو حيز الجسم الأعلى ، فوق حيز الجسم الأسفل ، فوجود كل من الاستواء المكاني ، والعلو المكاني متوقف على وجود الحيزين ، وحيث إن كل حيز حادث لأنه ملازم للجسم الحادث ، ولأنه يقبل الزيادة والنقصان ، ولأنه مفتقر لمن يحدده ، ويقدره فإذاً يكون الاستواء المكاني المتوقف على الحيز حادثاً ، والعلو المكاني المتوقف على الحيز حادثاً ، وإذا ثبت أن كلا من الاستواء المكاني ، والعلو المكاني عرض حادث فقد ثبت أنه لا يصح أن يقاس على صفات الوجود الإلهي ، والعلم الإلهي ، والقدرة الإلهية والإرادة الإلهية القديمة الواجبة لله تعالى التي لا تتوقف على الحيز ولا على المحدد ، ولا على المخصص .

فقياس القصيمي للاستواء المكاني ، والعلو

المكانى على تلك الصفات الإلهية هو قياس مع الفارق الملموس ، فهو إذن باطل ، وما بنى عليه من الاستشكالات باطل بالضرورة .

وبذلك قد سقطت جميع الاستشكالات التى يقصد بها القصيمى إلزامنا بإثبات العلو المكانى ، والاستواء المكانى .

وعليه فيكون الوجود الإلهى ، والعلم الإلهى ، والقدرة الإلهية ، والارادة الإلهية واجبة لله تعالى .

أما الاستواء المكانى ، والعلو المكانى ، فهما عرضان ، حادثان ، فيكونان مستحيلين على الله تعالى وهو المطلوب . مما يؤكد استحالة اتصافه تعالى بالاستواء المكانى ، والعلو المكانى ، أن الله تعالى منزّه عن التحديد ، والتشبيه ، والقصيمى نفسه يعترف بذلك كما يعلم من قوله (ص 27) بالعدد 26 : " كيف لا تستطيعون أن تفهموا أيضاً ان يكون تعالى مستوياً على عرشه ، عالياً على خلقه ، ثم لا يلزم ذلك تشبيه ، ولا تجسيم ، ولا أن يكون فى جهة من الجهات ؟ " وكما يقول المسلاوى فى صفحة (31) بالعدد (11) ما نصه : (وتعالى ربنا عن التحديد والتشبيه) .

فالآن حصص الحق ونطق القصيمي
بتنزيه الله تعالى عن الجهة والمكان من
حيث لا يقصد .

إذن فلماذا يقول إن الله تعالى متصف
بالاستواء المكاني على العرش ، وبالعلو
المكاني مع أن هذا يناقض التنزيه عن
التحديد وعن الجهات والأمكنة ، ويظهر أن
وضوح الأدلة القرآنية ، والعقلية ، وكثرتها
ألزمت الاعتراف بالحق رغم أنفه من حيث
لا يشعر ، وماذا عليه إذن أن يقول معنا :
إن الاستواء معنوي لا علاقة له بالجهات ،
والعلو معنوي ، لا علاقة له بالجهات ، ولو
قال هذا لانفض النزاع ، ولاجتمعت قلوبنا
على الحق .

إن مما يؤكد استحالة اتصافه تعالى
بالاستواء المكاني على العرش ، وبالعلو
المكاني ، والوجود الظرفي في السماء
الآيات الآتية :

قوله : ؟ وهو الله في السموات وفي
الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما
تكسبون ؟ سورة الأنعام .
وقوله : ؟ ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد؟ سورة "ق" .

وقوله : ؟ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون؟ سورة الواقعة .
وقوله : ؟ وأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض؟ سورة الملك .
؟ إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا؟ سورة مريم .
وقوله : ؟ فأينما تولوا فثم وجه الله ؟ سورة البقرة .
وقوله : ؟ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير؟ سورة الشورى .
وقوله : ؟ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ؟ سورة الحديد .
وقوله : ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ؟0

فلما وجد القصيمى وششرذمته أن الاستواء المكانى على العرش يتصادم مع هذه الآيات العظام ، وأنه لابد من تلاشيهِ

أمامها ، إذ يستحيل أن يثبت لله تعالى وجود حسي بالمعنى الذى يفهم من ظاهر هذه الآيات فى كل هذه الأمكنة فى آن واحد ، واضطروا للروغان وعمدوا فى هذه المواضع إلى التأويل الذى يرفضونه ، ويعتبرونه تعطيلاً للصفات ، مع أنهم يحرمونه على أهل التنزيه ، وبذلك نقضوا أصلهم فى التزام عدم التأويل وخالفوا مذهب السلف فى المسائل الآتية :
المسألة الأولى : قد أولوا الآية (أ) بأنه تعالى موجود فى السموات وفى الأرض بعلمه ، كما يعلم من مقال "المسلاوى" بصفحة رقم 16 فى العدد الخامس من مجلتهم ، ولا يخفى أنه قد عدل عن مذهب السلف الذى يدعو إليه ، وهو عدم التأويل ، فهو يناقض نفسه بنفسه .
المسألة الثانية : قد أولوا الآية رقم (د) بما يفهم من مقال "المسلاوى" بالصفحة نفسها من العدد الخامس ، إذا يقول " (لا يريد تعالى ، وتقديس أن هذه السماء الحادثة ظرف له ، وإنما معناه ، أنه سبحانه فوقها على العرش بلا تحديد ، ولا احتياج إلى الرعش ، ولا إلى غيره) وهنا جملة ملاحظات .

أنه قد خالف مبدأ السلف أيضاً ، فضلاً عن أنه غير كلمة (فى) فى الآية بكلمة (فوقها) وشتان بين معنى الظرفية المستفاد من (فى ؟) وبين الفوقية المستفادة من (فوقها) .

أنه ناقض نفسه ، لأن ما على العرش غير ما هو تحت العرش ، والعرش هو الفاصل بينهما ، فلو كان تعالى موجوداً بذاته على العرش لكان محدوداً بالعرش وهذا يناقض قوله : (بلا تحديد) .

أنه يذكر كلمة (بلا تحديد) ليوهم العامى أنه ينزه ربه جل وعلا عن التحديد ، ولكنه هدم معناها بقوله : (فوقها على العرش) مع إرادة المعنى الظاهر من الوفقية فإن هذا هو عين التحديد ما داموا يريدون الظاهر ولا يؤولون :

المسألة الثالثة : قد أولوا المعية دون الاستواء فى الآية (ط) فجعلوا المعية بمعنى العلم ، فعملوا بمذهبى السلف والخلف ، أى بالتأويل وعدمه فى آية واحدة ، وهذا خلط وتخطيط ، وما حملهم على هذا إلا الهرب من تصادم الاستواء المكانى الذى يزعمونه بظاهر المعية ، يدل على

ذلك قول " المسلاوى " بصفحة 31 بالعدد 11 وقوله بصفحة 16 بالعدد الخامس .
المسألة الرابعة : قد أولوا المعية فى الآية (ي) بالعلم أيضاً ، يدل على ذلك قول " المسلاوى " بصفحة 16 بالعدد الخامس .
وظنوا أنهم تخلصوا بذلك من التناقض الحاصل بين ظواهر تلك الآيات ، ولكنهم قد خاب ظنهم إذا لا يزال التناقض قائماً لاستحالة أن تكون ذاته تعالى فوق العرش وأن تكون فى الوقت نفسه أقرب إلينا من جبل الوريد ، وأقرب إلينا من أنفسنا ، أن تكون فى الوقت نفسه فى كل مكان حيث نولى وجوهنا إليه فى جميع الجهات .
وهنا نسأل القصيمى ، وشرذمته الأسئلة الآتية :

أولاً: لماذا لم تؤولوا الآيات : (ب) و (و) ؟

وكيف يمكن الجمع بينها وبين ظاهر الاستواء على العرش ؟
مع أن معانيها متضاربة ؟
فأما ان يكون الله فوق العرش بعيداً عن أهل الأرض ، وإما أن يكون قريباً من أهل الأرض وتحت العرش ، وحينئذ لا مفر لكم من أحد أمرين وهما :

إما أن تؤولوا كلاّ منهما بأنه معنوي ، فيكون
الاستواء معنوياً ، والقرب معنوياً ، وتكونوا
قد سلمتم بصحة التنزيه الذي ندعوكم إليه

وإما أن تبقوا كلاّ منهما على ظاهره
فتخرجوا من دائرة العقل والعقلاء ، فهل
عندكم طريق آخر غيرهما ؟ أجيئنا إن
استطعتم الجواب للحكم عليكم بأحد
الحكمين .

ثانياً : لماذا أولتم المعية دون الاستواء في
آية الاستواء بسورة الحديد ؟
فهل تكونون سلفيين ، وغير سلفيين في
آية واحدة ، وفي لحظة واحدة ؟
وهل لا تشعرون بهذا التناقض في
المبادئ ؟
وهل أنتم جادون في أقوالكم ، أم
هازلون ؟

وإن كنتم لا تشعرون بهذا التناقض ، فهل
الأمة جميعاً لا تشعر ، ولا تدرك هذا
التناقض ، وتعتبر أقوالكم ذات قيمة دينية
أو عقلية وإن خالفتم التنزيه الذي يدرس
في أكبر جامعة إسلامية كالأزهر الشريف ؟
والذي لا يحيد عنه جمهور المسلمين تبعاً

لشذوذكم .
إننا ننصح لكم ، أن تثوبوا إلى رشدكم ،
وتعترفوا بالحق من قريب ، قبل أن يظهر
للأمة الإسلامية عامة ، والمصرية خاصة
فساد عقيدتكم ، وزهوق باطلكم فيحل بكم
الخزي الدنيوي ، قبل حلول الخزي
الأخروي ، نعوذ بالله تعالى من الخذلان
والخزي وعواقبهما في الدنيا والآخرة ، إنه
تعالى سميع قريب مجيب .
